المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية
DEWAN DA'WAH ISLAMYAH INDONESIA Perwakilan
SUMATERA SELATAN.

من أجل أن نقدم للمسيحيين نورا



بقلم
متولي يوسف شلبي
مبعوث الأزهر في اندونيسيا

الناشر
الدار الكويتية
للطباعة والنشر والتوزيع

المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية
DEWAN DA'WAH ISLAMYAH INDONESIA Perwakilan
SUMATERA SELATAN.

من أجل أن نقدم للمسيحيين نورا

أضواء على المسيحية

بقلم
متولي يوسف شلبي
مبعوث الأزهر في اندونيسيا

الناشر
الدار الكويتية
للطباعة والنشر والتوزيع

الإهداء

إلى فضيلة العالم المسلم المتزن الحاج محمد دهلان ، تقديراً لموقفه الإنساني الإسلامي من قضيـــة التسابق الديني في إندونيسيا القائم على غير أسس التكافؤ والعدل في إعطاء فرص التعبير الصحيح عن مفهوم التسامح الديني . مع الدعاء أن يكتب الله له التأييد ، وأن يجعل عمله خالصاً لوجهه العظيم .

مقدمة

هدف ومنهج

١ – هدف هذه الرسالة :

هدف هذه الرسالة هو عنوانها : من أجل أن نقدم للمسيحية نوراً ؟ إنها رسالة تصوّر الديانة المسيحية كما ألّفها علماء المسيحية أنفسهم ، تتحرى كلمات المؤلفين من علماء النصرانية سواء منهم من أسلم ، أو ما زال على ملته ، وسواء كان من علماء الشرق أو الغرب؟ ومن كلمات العلماء يظهر النور واضحاً للمسيحية لتعرف أين مكانتها ، وأين مكانها ؟ ثم : نعرض آيات القرآن الكريم كما تنص عليها ألفاظها الكريمة من غير شرح من عندنا ، وإن كنا سنستضيف بعض علماء الاسلام ليقدموا لنا عرضاً موجزاً لأخبارها ، وذلك ليقوم البحث في المستقبل على أسس الحيدة العلمية التي نادى بها علماء الغرب ثم تجاهلوها واعتدوا بها على حرية البحث وكرامة العلم .

وإذن فهدف هذه الرسالة أمران :

١ – تقديم نور للمسيحية من خلال كتابة علمائها .

٢ – تقديم قواعد البحث لدراسة المسيحية على أسس علمية تنزه النتائج من الطعن (وتبرز) الدليل لمن كان له قلب !

٦ – رأينا الشخصي في المراد بـ « أهل الكتاب » .

٧ – عرض لآيات القرآن الكريم الـتي تحـدّد موقف الأمـة الإسلامية من المسيحيين ، ومن أهل الكتاب عامة .

يتلخص من هذا : أن هـذه الرسالة تقوم عـلى سبع مقالات ، كأسس لدراسة المسيحية ، لا انهـا دراسة للمسيحية ، ولكنهـا مدخل وقواعد ثابتة لمن أراد أن يدرس شيئاً في المسيحية ، من المسلمين ومن غيرهم على السواء، ابتغاء الحق وابتغاء كرامة العلم ، وحتى يرى النور من شاء أن يستقيم ، ولله در الدكتور نظمي لوقا – مسيحي مصري – إذ يقول في مطلـع كتابـه « محمد الرسالة والرسول »[1]، « من يغلق عينيه دون النور ، يضر عينيه ولا يضر النور . ومن يغلق عقله وضميره دون الحق ، يضر عقله وضميره ولا يضر الحق » .

نسأل الله تعالى أن يفتح لنا باب المعرفة والحق ، وأن يعيننا على إبراز معالم الحقيقة وأن يهدينا سواء السبيل ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والداعين بدعوته الى يوم الدين .

٢٨ شوال ١٣٨٧ هـ	متولي يوسف شلبي
٢٨ يناير ١٩٦٨ م	مبعوث الأزهر في اندونيسيا

(١) في الصفحة ١١ منه .

المقالة الأولى

المسيحيّة كما جاء بها السيّد المسيح عليه السلام

لماذا كان القرآن الكريم هو المصدر ؟

المسيحية كما جاء بها المسيح عيسى عليه السلام

رسالة سيدنا عيسى عليه السلام هي واحدة من رسالات الأنبياء التي جاءوا بها الى الناس ليعبدوا الله ربهم الذي خلقهم وعافاهم ورزقهم ، ولا يشركوا به أحدا ، فهو وحده الأحد الفرد الصمد ، وأن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويتعاونوا على البر والتقوى (قال إني عبد الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً . سورة مريم ٣٠ – ٣٢) .

وتمضي آيات القرآن الكريم وهي تحترم وتلتزم هذه الصورة في إبراز معالم المسيحية التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام ، فتتلو في سورة المائدة : (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميَ إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علاّم الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أنِ اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد – المائدة ١١٦ – ١١٧) فتحكي الآيات مقالة سيدنا عيسى في الآخرة يوم يجمع الله الرسل، وأنه ما جاء الا بالشرع الذي أوحاه الله اليه وأنه بريء مما فعله الناس من بعده وصيّروه لهم دينا .

وحول تفسير رسالة سيدنا عيسى يقول الله تعالى: (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيــه فاتقوا الله وأطيعون، إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم –الزخرف ٦٣–٦٤).

(ومصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم – آل عمران ٥٠ – ٥١) .

وإذن : فالمسيحية التي جاء بها عيسى عليه السلام ، احدى مراحل الرسالة الإلهية الى الناس ليعبدوا الله ويطيعوه ، ويتقوه ، فهي تدعو الى :

- توحيد الله وتنزيهه عن كل معاني الشرك .
- وإفراده وحده جل شأنه بالعبادة والطاعة .
- وتنفيذ أوامره وتحقيق شرعه .
- والتحلي بجميل الخلق ورفيع الشيم ومكارم الاخلاق .

والزيادة على هذا غلو وكفر ، ولهذا فان القرآن يحكي نصيحة عيسى لقومه ودعوته إياهم لعبادة الله وحده وعدم الاشراك به : (لقــد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار– المائدة ٧٢) .

هذه الرسالة التي حملها سيدنا عيسى ليست رسالة عامة ، ولكنها خاصة ببني اسرائيل ، يقول الله تعالى: (ورسولاً الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم – آل عمران ٤٩) . (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمــه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين – الصف ٦) . وفي انجيل برنابا

لماذا كان القرآن هو المصدر ؟

ولكن قد يبدو هنـاك اعتراض ملخصه : ان عرضي السابق ارتكز على القرآن كمصدر في تصوير المسيحية التي جاء بها عيسى عليه السلام ؟

والحق ان القرآن وحده هو المصدر العلمي والتاريخي ، الذي يصوّر لنـا تاريخ الرسالات الإلهية منذ آدم عليه السلام حتى خاتم الانبياء والمرسلين محمـد ﷺ ، فليس في الوجود كله كتاب إلهي او بشري له من الاحترام العلمي القائم على التواتر والحفظ والصيانة لرسمه وطريقة قراءته وأصوله كلها غير القرآن الكريم . والاستناد الى القرآن في عرض مسيحيـة سيدنا عيسى ليس تعصباً في البحث ولكنه منهج نزيه ، وهو عمل علمي حقيق بالاحترام ، ذلك :

١ ـ لأن الأناجيل نفسها لم تأخذ حظها من الثقة التاريخية ولم تنـل احترامـاً علمياً ، لما نابها من الاختلاف والتباين، حتى لقد أوقف كثير من المتعصبين أنفسهم للدفاع عن تضاربها كما فعل القس بوطر في رسالتـه « الأصول والفروع » والقس ابراهيم سعيد ، في « شرح بشارة لوقا » .. الخ.

٢ ـ كما انها تعرضت لنقد شديد من العلمـاء المسيحيين الذين اسلموا عن بحث ورغبة في التوصل لمعرفة الحق ، مثـل المسيو ايتين دينيه الفرنسي الرسام الذي هدته عبقريته الفنية الى حقيقة الألوهية ، فأعلن اسلامه في عـام ١٩٢٧ م ، بعد دراسات تاريخية ونفسية ودينية لكتب الأديان ، وفيهـا يقول عن الأناجيل «أما ان الله سبحانه قد أوحى الإنجيل الى عيسى بلغته ولغة قومه ، فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر ، أو أنه قد أبيد [١] » .

---

١ ـ أشعة خاصة بنور الايمان ص ٤١ ـ ٤٢ .

المقالة الثانية

حياة المسيحيّة بعد سيدنا عيسى عليه السلام

أولا ـــ الاضطهاد الديني :

أ ـــ اضطهاد اليهود والرومان لعيسى عليه السلام

ب ـــ عهود الاضطهاد بعد عيسى عليه السلام

ثانياً ـــ المزج الفلسفي بمبادىء المسيحية :

(اولا) :

الاضطهاد الديني

اضطهاد اليهود والرومان لعيسى عليه السلام :

أيَّد الله سبحانه وتعالى نبيه عيسى عليه السلام بمعجزات مادية: فكلم الناس في المهد ، وقال لهم : إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، ويبرىء الأكمه ، والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله ، وينبيء الناس – اليهود – بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بإذن الله (راجع الآيات ٤٩ آل عمران ، ١١٠ المائدة).

وحكمة ذلك : ان في هذه المعجزات المادية إعلاناً علمياً للسلطان الإلهي في مواجهة الالحاد الفكري الذي ساد العقلية اليهودية المادية ، التي اشتهرت بإنكار الروح بالقول والفعل ، وتفسير كل شيء في الوجود تفسيراً مادياً بالسبب والعلة والغاية ، واتخذ ذلك عندهم شكلاً نظرياً وسلوكياً ، فكانت معجزات الله الى سيدنا عيسى قهراً مادياً للفكر المادي حتى يرجعوا الى عالم الفكر والروح الصافي من غواشي المادة الملحدة الضالة ، وليطلع الجانب الروحاني في البشر على سلطان الله الأحد المهيمن العزيز الجبار ، ذلك : لأن اليهود قد قست قلوبهم فهي كالحجارة او أشد قسوة، فجاء سيدنا عيسى بما يلين قلوب اليهود المتحجرة، وكان من تعاليمه اعلان المساواة بين طوائف اليهود المتكبرين ، وطائفة السامرة التي يعاملها اليهود معاملة الرق ، والانتباذ ، والاحتقار .

فلهذين السببين :

لذلك طال حبل الحيل اليهودية في الإيقاع بعيسى عليه السلام لدى الدولة الرومانية ، حتى شاء الله وقدّر ولاراد لقضائه وقدره ،فكذّب اليهود وفتنوا نبي الله لهم فقامت الدولة الرومانية بمعاداة السيد المسيح ، وحكموا عليه بالاعدام صلباً، وهنا نترك البحث في الشوط الذي وصل اليه حكام الرومان في تنفيذ حكمهم على سيدنا عيسى ، ذلك لأنني كمسلم مرتبط بقواعد الإسلام التي تحددها آيات القرآن الكريم : (وما قتلوه ، وما صلبوه، ولكن شبّه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه،ما لهم به من علم،إلاّ اتّباع الظن، وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزاً حكيما — النساء ١٥٧ — ١٥٨) وفي مثل هذه الاخبار التاريخية يقف العلم نفسه والتاريخ ذاته إجلالاً وتقديساً لنصوص القرآن الكريم لأنه وحده المصدر الأوثق والفريد ، الذي يعتمد عليه العلم والتاريخ في معرفة الأخبار للأديان السابقة ، والأحداث الماضية ، وما سواه —كما يقرر العلم — حدس وظن وتخمين وخبط عشواء ؟

فالاضطهاد الديني —من هذا التمهيد— تبرز أنيابه ضد المسيحية منذ اللحظة الاولى لدعوتها في عهد السيد المسيح عليه السلام . هذا الاضطهاد بدأه :

— اليهود بما زرعوه من الكذب والفتن والحيل والإغراء .
— وكذلك الدولة الرومانية بما قامت به —حسب النظرية القرآنية— من محاولة صلب المسيح ، ولكنه نجا ورفعه الله اليه، او بما حققته الدولة الرومانية من صلب المسيح كاستجابة لغش اليهود وفتنهم حسب التفسير المسيحي وكان ذلك في عهد طيباروس الذي عاصر السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .
— ثم استمرت عملية التعذيب والاضطهاد بعد عيسى عليه السلام، وتتلخص في أربعة عهود رئيسية ، كان الاضطهاد فيها فوق ما يتصور الشعور ، ويتحمل البشر .

٢ – من ألوان هذا التعذيب :

١ – أنه أدخل المسيحيين في جلود الحيوانات ، ثم قدّمهم أطعمة للكلاب .

٢ – ألبسهم جلابيب مطلية بالقار (المادة السوداء التي تستخدم في في الاسفلت) ثم أوقدهم كمشاعل على الطريق يستضاء بها في الليلة الظلماء .

٣ – اتخذ هو لنفسه من تلك المشاعل البشرية شموعاً كان يسير على ضوئها في وسط اللهيب المتصاعد من أبدان المسيحيين .

في هذه الظروف النفسية العصيبة ، والجو الكالح ، والظلم المتعجرف دُوِّنت بعض الأناجيل : انجيل مرقس عام ٦١ م ، وانجيل لوقا .

ب – في عهد تراجان ١٠٦ م :

خلف نيرون حكاماً أقل قسوة ، وأخف وطأة ، ووجد المسيحيون لدينهم متنفساً فترة من الزمن ، ولكن القدر هيّأ لهم امتحاناً من جديد ، فكان عهد تراجان القاسي العنيف الذي ألجأهم الى الهرب والى الاستخفاء بالصلاة ، فتعقبهم في عقر بيوتهم ، وأصدر احكامه بمنع التجمعات السرية ، واعتبر الصلاة المنفردة احدى التجمعات السرية التي تعاقب عليها الدولة . وذلك كله لأن المسيحيين لا يدينون بدين الدولة الوثنية .

يقول صاحب كتاب الحضارة : « كتب (بلين) – وقد كان والياً في آسيا للإمبراطورية الرومانية في عهد تراجان يصور منهجه في معاملة المسيحيين وتعذيبهم » : .. اني أسألهم إذا كانوا مسيحيين فإذا أقروا ، أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً بالقتل ، فان اصروا أُنفذ عقوبة الاعدام فيهم ، مقتنعاً بأن غلطهم الشنيع وعنادهم الشديد يستحقان هذه العقوبة ، وقد وجهت التهمة الى كثيرين بكتب لم تذيل بأسماء اصحابها فأنكروا انهم نصارى ، وكرروا الصلاة على

في هذا الجو من الاضطهاد يجدر بالباحث في المسيحية ، تاريخاً ونظاماً ، وطقوساً ، ان يتحرى آثار هذا الإضطهاد ويتساءل :

١ – هل يمكن إثبات سند متصل للديانة المسيحية ؟

٢ – هل الديانة المسيحية – كنظام وتعاليم من عند الله – استطاعت ان تأخذ نصيبها من الوجود في عهد سيدنا عيسى او بعده ؟

٣ – هل الأناجيل التي كتبت في عهود الاضطهاد المستمر منذ اللحظة الاولى تحمل صفة الكتاب المنزل من عند الله ؟

٤ – هل في ظل هذا الاضطهاد الديني يمكن لكاتبي الانجيل ان يتحلوا بصفة الحيدة العلمية التي ينادي بها علماء الغرب المسيحيون في العصر الحديث ؟

٥ – ما مدى الثقة التي يعطيها التاريخ لما كتب في هذه العهود من الاناجيل ، وما مدى احترام التاريخ والعلم للرجال الذين كتبوا هذه الكتب؟لا سيما في ظل هذه الاحوال النفسية التي تجعل من العسير أن يقوم البحث العلمي على أسس محايدة نظيفة ؟

لذلك يجب أن يتنبه الباحثون المنصفون ، من المسلمين وغيرهم على السواء ، إن كانوا حقاً علماء باحثين . ! !

(ثانيا)

المزج الفلسفي بمبادىء المسيحية ؟

أولا : في الغرب :

في الحروب التي كانت تدور بين الفرس المجوس ، والرومان الوثنيين ، بدت ظاهرة لملوك الدولة الرومانية ، وهي محاولة التميز عن الأمة الفارسية في الظهور

على أن يأخذ السلطان الديني محله من النفوس ، فقد كانت البلاد تعاني من طبقية جذرية الأضلاع حادة الزوايا — بالتعبير الهندسي — فبينما نجد الرخاء والترف والنعيم من حظ الطبقة الحاكمة ، نجد على العكس ، عامة الشعب يتلوى من الجوع ، ولا يجد عملاً يتحصل منه على شيء يسد رمقه ، او يشفي تشقق الشفاه الظامئة من لهيب كبدها الجائعة العَطْشَى ؟

ولم يكن هناك شيء يخفف من آلام العامة إلا السلطان الديني ، ولكنه على مر الايام وتزايد سقم الجوع ، وتخم الاغنياء ، واستفحال ظلم الحكومة ، وانحراف رجال الدين ، لا بد وأن يضمحل ، فالجوع مخرب للرؤوس ، مشوش للعقائد ، لا سيما عند الذين يعبدون الله على حرف ، وبالأخصّ في العقائد الضالة التي لا تستند الى حقيقة إلهية صحيحة ، فإنها أحرى أن تتلاشى ، وأن تذوب أمام هذا الظلم الإجتماعي ، والإنحراف الإداري ، والضياع الديني .

لذلك فقد خبا لهيب السلطان الديني ، وباتت الصدور خاوية منه ، فأراد الفلاسفة أن يملأوا هذا الفراغ في عملية ارتقاء وجداني تسمو فيه العواطف بالعقل الى أعلى ، وتلتذّ بحلاوة التفكير لتذهب مسغبة البطن ، وتأخذ الفلسفة محلها في مراقبة السلوك محل السلطان الديني فقامت التعاليم الفلسفية بشذى ديني ، والتحم الشعور الديني بالتذوق الفلسفي ، أو التقت المشاعر الدينية التي هي طبيعية في الإنسان من ناحية كونه إنساناً ، بالضوء الفلسفي الخلاب ، واستطال هذا الامتزاج حتى صنع من الاديان التي تؤمن بها الدولة الرومانية وحدة طقوس وشعائر ، فالتقت المسيحية مع الفلسفة ، مع الطقوس الوثنية القديمة ، وكان الشعب خليطاً في أفراده يضم يهوداً ومسيحيين ووثنيين وخليطاً في ثقافته يجمع المسيحية والوثنية واليهودية فوجدت الفلسفة المتدينة ، او الدين المتفلسف جواً بشرياً بعناصره البيولوجية والسيكولوجية يتلائم معها ، فكانت المسيحية التي امتزجت بالفلسفة ، والأفكار الوثنية ، أو الوثنية التي صارت مسيحية وانصهرتا معاً في بوتقة تسمى الفلسفة ، لك أن تسمي هذه الأخلاط ما تشاء ،

– العقل المنبثق عنه .

– الروح التي هي مصدر تتشعب منها الارواح جميعاً .

ويشرح أفلوطين نظريته الثلاثية ، فيقول :

١ – عن المنشيء الاول صدر العقل ، وليس صدوره كالولادة ، ولكنه انبثـــاق .

٢ – ومن العقل انبثقت الروح التي هي وحدة وأساس الأرواح كلها .

٣ – وهذه الثلاثة : المنشيء الاول ، والعقل ، والروح ، أساس لتوالد العالم وتواجده وتكوينه .

هذه الدراسات أساسها الأفكار والثقافات التي حملها أفلوطين من العالم الفارسي والهندي ، وحملتها مدرسة الاسكندرية الافلوطونية الحديثة في العقد السابـع من القرن الثالث الميلادي (٢٧٠) م ، وفكرة التثليث المسيحية لم تنتشر قبـل مجمع (نيقية) أي قبل العقد الثالث من القرن الرابع الميلادي (٣٢٥) م وإذن ، فالمسيحية وأقانيمها الثلاثة ، إنعكاس لدراسات الأفلوطونية الحديثة ، ولهذا فإن جانباً من علمـاء الفلسفة الغربية يشكـّون في حقيقة المسيح ويعتبرونه شخصية رمزية لفلسفة افـــلوطين أريد منها تغطية الفلسفة الافلوطونية بثياب دينية ليعتنقها العامة .

وهو فرض وتفسير فلسفي لا يعترف به الفكر الإسلامي في أبحاثه مطلقاً لأن المسلم مرتبط بالنصوص الدينية في القرآن الكريم التي تقرر أن المسيح عيسى ابن مريم نبي الله وكلمته ورسوله الى بني إسرائيل ، يقول الله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » آل عمران ٥٩ ، « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين » آل عمران ٤٥ .

(الإبن) هو الكلمة ، والثـــالث : هو دائماً (الروح القدس) على انه يجب ان يلاحظ أن هذه الاقانيم الثلاثة ليست في نظر الافـــلوطينية متساوية في الجوهر والرتبة – بينما هي متساوية عند المسيحية : فالابن الذي يتولد من الآب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالاً ، وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطراراً عنه غير الكامل، وهذا حطّ من رتبته ، وكذلك الروح القدس مساوٍ للآب والإبن (١)

وإذن فالمسيحية في دعواها الاقانيم الثلاثة انما تتمسك بفكرة فلسفية هي خليط من تعاليم المدارس الفلسفية ، وخاصة : (الافلوطونية)، و (الافلوطونية الحديثة) ، الاولى : مدرسة غربية في الأمة الإغريقية اليونانية ، والثـــانية : مدرسة في الشرق بالاسكندرية ، هيىء لها جو من اساتذة الفكر الروماني اليوناني ، كما هيىء لشيخها أن ينقل عديداً من ثقافات الهند وفـــارس ويصهرها كلها في بوتقة واحدة قيل لها فيما بعد المسيحية ، واعتبرها الناس ديناً .

وإذن فالذي يجب أن يتنبه اليه الباحث دائماً هـو : علاقة الفهم والتنظيم في المسيحية بكل من :

١ – الفلسفة الافلاطونية الاغريقية .
٢ – الفلسفة الافلاطونية الشرقية .
٣ – التنظيم الثالوثي في الوثنية القديمة لدولة الرومان .

والسابق أستاذ اللاحق ، وصاحب السلطان أقوى في التأثير على الاضعف المنقاد، وقد كانت فلسفة افـلوطين في الاسكندرية سابقة لأنها في عام ٢٧٠ م ، ومجمع (نيقية) الذي قرر الثالوث والاقانيم الثلاثة كان في عام ٣٢٥م، والمسيحية عاشت مضطهدة مرؤوسة مغـــلوبة ، والوثنية الرومانية عاشت فوقها متسلطة غالبة قاهرة ، فمن هو المتأثر ، ومن هو المؤثر ، ؟ ذلك عمـــل جدير بالبحث والانتباه من الفاهمين المخلصين للعلم ، والتاريخ ، والدين على السواء .

---

(١) راجع ص ٩٣ – ٩٥

المقالة الثالثة

مصادرُ المسيُحيَّة :

١ ـــ التوراة .

٢ ـــ الأناجيل .

٣ ـــ رسائل الرسل .

تمهيد

تعتمد المسيحية – وخاصة المعاصرة – في حياتها الدينية على ثلاثة مصادر :

الأول : التوراة : ويسمونها كتب العهد القديم ، وتستوعب في الحجم – باللغة الاندونيسية – ٩٩١ صفحة ، بينما تستوعب الأناجيل الأخرى ٣٤٩ صفحة . والمسيحيون لا يأخذون بالتوراة ككل ، فهناك بعض الأسفار لا تأخذ بها المسيحية لعدم اعتقادهم صحة وحيها ، مع أنها أسفار جد معتبرة في نظر اليهود .

الثاني : الأناجيل : وتسمى الأسفار التاريخية ، لأنها تعنى بشرح الظروف التاريخية لحياة المسيح عليه السلام .

والأناجيل المحترمة عند المسيحيين أربعة وهي :

- إنجيل متى .
- إنجيل مرقص .
- إنجيل لوقا .
- إنجيل يوحنا .

وهذه الأناجيل الأربعة هي التي اعترفت بها الكنائس المسيحية في القرن الثالث بعد المسيح عليه السلام ، دون غيرها ، وهي التي أثبتها من قبل إعلانها في المجمع الأول ، مجمع نيقية ، أرينيوس عام ٢٠٩ م ، ثم جاء من بعده كليمنس اسكندريانوس عام ٢١٦ م وقرر أن هذه الأناجيل الأربعة ، واجب التسليم بها ، ثم كان مجمع نيقية عام

المصدر الأول

الأناجيل :

١ – إنجيل متى :

أ – من كاتبه ؟ كاتبه : (متى) أحد التلاميذ الاثنَي عشَرَ ، ويسميهم العرف المسيحي رسلاً ، وكان عمله قبل اتصاله بالسيد المسيح عشّاراً – جامعاً للضرائب – لحساب الدولة الرومانية بفلسطين وهي وظيفة يمقتها اليهود ، وينظرون الى صاحبها على انه ظالم أو على الأقل ، عنيف الطبع، وقد اختاره السيد المسيح ليكون له تلميذاً ،وقد جاء في الاصحاح التاسع من هذا الإنجيل ما يفيد اختيار متى تلميذاً للسيد المسيح إذ يقول : « وفيما يسوع يجتاز من هناك ، رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية ، واسمه متى ، فقال له اتبعني ، فقام وتبعه ، وبينما هو متكيء ، في البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه ، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل المرضى ، فاذهبوا وتعلموا ما هو ، إني أريد رحمة لا ذبيحة ، لأني لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة الى التوبة »[١] .

ب – لغة تدوينه : يقول الكاتبون المسيحيون ، وكأنهم متفقون على هذا ،

(١) راجع اصحاح : ٩ ، رقم ٩ ص ١٣ انجيل متى ، لغة إندونيسية .

وهي : اما العبرية ، او السيروكلدانية ، ثم ترجم الى اليونانية ، ثم لعبت به أيدي النساخ الايوبيين فضاع .

وإذن فإنجيل متى يلاحظ فيه اثناء الدراسة للمسيحية ما يلي :

١ – أنه مجهول التاريخ بوجه عام يكاد يكون اجماعاً من المسيحيين أنفسهم .
٢ – وفي لغة تدوينه اختلاف لا يحد .
٣ – والنسخة الأصلية معترف بضياعها او على الاقل عدم إمكان وجودها .
٤ – وأن مترجمه مجهول .
٥ – وأن هذا الإنجيل كتب خاصة لليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح او استجابة لطلب الرسل ، ومن هم هؤلاء الرسل ؟ كذلك لم يتضح ذلك تاريخياً ؟

ولذا نرى هورن : يقول – وكأنه يشكك ، أو يضحك – ألّف الانجيل الاول سنة : ٣٧ ، أو ٣٨ ، أو ٤١ ، أو ٤٣ ، أو ٤٨ ، أو ٦١ ، أو ٦٢ ، أو ٦٣ ، أو ٦٤ ! فيحكي عدة سنوات دون أن يذكر دليلاً ، أو سنداً ، أو حجة ، أو برهاناً ! .

هذا إنجيل الرجل الاول في المسيحية ، فهو أحد الحواريين ، يجد الباحث حوله عدة نقاط غامضة ، فيمقدمتها : ان هذا الإنجيل كتب بدافع شخصي .

وهنا يتساءل الباحث : متى يكون لكتاب الدين حرمة ككتاب مقدس من عند الله ؟ ؟ أ إذا نزل من عند الله بطريق الوحي المعصوم يحمله نبي معروف نسبه ونقل للأجيال بطريق متواتر تاريخي صحيح ؟ أو الكتاب الذي يطلبه بعضٌ من الناس فيكتب لهم من الفكر البشري العادي ؟

وإذا كتبه واحد من الناس الاتباع ، أو التلاميذ ، أو الاصحاب ، فهل يسمى

الأبرار : « ان مرقص كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري ، وانه صنف كتابه بطلب من أهالي رومية وكان ينكر ألوهية المسيح » .

٢ – غير ان ابن البطريق ، يقول كلاماً متناقضاً في قضية من ألـّف كتاب مرقص ، فيروي أن بطرس رئيس الحواريين كتب انجيل مرقص عن مرقص في مدينة رومية ، ثم نسبه الى مرقص ، وهنـا يجد الباحث سؤالاً : كيف يأخذ رئيس الحواريين انجيلاً عن أحد الأتباع الذين لم يصلوا الى مرتبـــة الحواريين ؟ وكيف برئيس الحواريين يكتب عن مرقص أحد الأتباع انجيلاً في المسيحية ؟

ولم نسبه بطرس الى مرقص ؟

٣ – وفي مرشد الطالبين يقول : ان انجيل مرقص كتب بتدبير من بطرس عام ٦١ م من أجل أن يستخدمه بطرس في تبشيره بدينه .

ولكن أرينيوس يقول : إن مرقص كتب انجيله بعـد موت بطرس وبولس ومن هنا يظهر في البحث سؤال من هو المؤلف ؟

ب – لغة التدوين : يتفق المؤرخون على أن لغة التدوين لهذا الانجيل كانت اليونانية ، ويذكر الدكتور بوست في كتابه قاموس الكتاب المقدس ، أن مرقص كتب الانجيل باللغة اليونانية .

ج – تاريخ تدوينه : يختلف المؤرخون المسيحيون كثيراً في الزمن الذي كتب فيه الانجيل الثاني ، فيقول هورن : ألـّف الانجيل الثاني سنة ٥٦م وما بعدها الى سنة ٦٥ م ، ويغلب عام ٦٠ م أن يكون سنة التدوين له أو سنة ٦٣ م وهي دائماً عادة هورن في حديثه عن التاريخ لتدوين الانجيل !

ويقول إن الذين يدّعون أن لوقا انطاكياً قداشتبه عليهم أمره بلوكيوس الانطاكي ويزعم الدكتور بوست أن لوقا روماني نشأ في ايطاليا .

(٣) وجانب آخر من علماء التاريخ المسيحي يرون أنه كان مصوراً .

واذن فمن هو لوقا ؟ وهل هو انطاكي النسب أو رومانيه ؟ ، وهـل هو طبيب أو مصور ؟ كل ذلك يسوده الغموض ، ويجدر بالباحث مطلقاً أن يولي أهميته هذه الأسئلة عن من هو لوقا ؟ وما هي صنعته ؟

ب – لغة تدوينه : يتفق المؤرخون على أن لغة التدوين لهـذا الانجيل هي اللغة اليونانية .

ج – تاريخ تدوينه : تلك نقطة خلاف حاد بين المؤرخين، ذلك لأن القوم الذين كتب لهم هذا الانجيل مثار خلاف كذلك بين علماء النصارى ؟

١ ـ فالدكتور القس ابراهيم سعيد (مصري) يرى أنه كتب لليونان ، وان انجيل متى كتب لليهود ، وأن انجيل مرقص كتب للرومان ، وانجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة .

٢ ـ ولكن انجيل لوقا يبدأ بهذه الجملة : « اذا كان كثيرون قـد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين رأيت أيضاً ـ اذ قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق ـ أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به[١] » .

وثاوفيلس هذا يقول عنه ابن البطريق «إنه من عظماء الروم»،ونجد كذلك من يقول أن ثاوفيلس هذا مصري الجنسية ، ولهذا فان سنـة التدوين كانت مثار خلاف لأن القوم الذين كتب لهم الانجيل لما يُعْرفوا بعد .

---

١ – راجع انجيل لوقا المقدمة ص ٧٦ لغة اندونيسية .

١ – أما علماء المسيحية في القرن الثاني فقد أنكروا نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحواري الذي كان يحبه السيد المسيح .

والجدير بالذكر ان هذا الإنكار كان في ظلال أرينيوس الذي تتلمذ على بوليكارب التلميذ المباشر ليوحنا الحواري تلميذ السيد المسيح ، ولم يرد نفي لهذا الانكار من ارينيوس الحفيد العلمي ليوحنا الحواري ، مما يفيد ان انجيل يوحنا ليس نسبة الى يوحنا الحواري تلميذ السيد المسيح ، ولكنه يوحنا آخر .

٢ – ويقول استادلن « ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ، ويقول كذلك : كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تنكر هذا الانجيل وجميع ما أسند الى يوحنا . »

٣ – وفي دائرة المعارف الانجليزية : أما انجيل يوحنا فانه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما بعضاً ، وهما القديسان : يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب انه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وإنّا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا – ولو بأوهى رابطة – ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني ، بالحواري يوحنا الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى [1] . وإذن من هو يوحنا كاتب الإنجيل الرابع ؟ المؤرخون المسيحيون أنفسهم لا يدرون .

---

١ – انتهى عن دائرة المعارف البريطانية ، من كتاب محاضرات في النصرانية لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد ابو زهرة ، عضو مجمع البحوث الاسلامية ، وهو استاذ مشهور بالدقة العلمية ، والحيدة والنصفة ، والحرص على كرامة العلم وموازين البحث والدراسة .

٢ – وأن يوحنا مجهول الشخصية قد كتب بزور بعض المسائل كما تقول دائرة المعارف الانجليزية المسيحية .

٣ – وأن جانباً من المسيحيين ينكرون نسبة هذا الإنجيل الى يوحنا الحواري تلميذ السيد المسيح .

وإذن : فالبحث عن شخصية يوحنا مهم جداً للوصول الى الحق في قضية التثليث من زاوية تاريخية علمية ، وإن كانت الدراسات الفلسفية قد قالت كلمتها في القضية ، وانها مزيج بين الفلسفة ، والبوذية الرومانية ، والبرهمة الهندية : او بين الافلاطونية ، والافلاطونية الحديثة ، والمبادىء المسيحية التي ولدت ذلك الثالوث ، الا أننا نريدها من زاوية تاريخية لمن له قلب ويحب الحق لذاته ، ان شاء ان يستقيم !

ب – تاريخ التدوين : يختلف المؤرخون كثيراً في زمن تدوين هذا الإنجيل ، وهو أمر طبيعي ما دامت شخصية كاتبه غامضة مجهولة :

١ – فالدكتور بوست : يرى أنه ألّف في الفترة بين : ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ .

٢ – وهورن يقول : ألّف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ ، أو ٦٩ ، او ٧٠ ، او ٨٩ ، او ٩٨ .

٣ – ويقول جرجس زوين ، انه ألّف في عام ٩٦ .

٤ – ويقول صاحب مرشد الطالبين: انه لا يوجد اتفاق بين العلماء على ضبط السنة التي كتب فيها يوحنا إنجيله ، فيزعم بعضهم انه كتبه سنة ٦٥ ، قبل خراب اورشليم ، وجانب آخر يرى انه كتبه عام ٩٨ م بعد رجوعه من المنفى .

وهكذا يبدو للعلم والتاريخ والباحث قضيتان خطيرتان :

٥ – انها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب ان تتوفر لكتاب سماوي او تعاليم نبي؟

ومن هنا يبرز لنا سؤال ، هو : أين إنجيل السيد المسيح ؟

حول انجيل عيسى الأصلي ، والأناجيل الاخرى ؟

يقول نارتن ناقلاً عن كتاب لعالم يسمى كهارن : « انه كان في ابتداء الملة المسيحية رسالة مختصرة يجوز ان تكون هي الإنجيل الأصلي ، والغالب ان هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يشاهدوا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، ولم تكن أحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

وحول هذه المعاني التي تفيد ان انجيلا أصلياً كان موجوداً ثم فُقد ، يقول بولس في رسالته الى أهل رومية في الاصحاح الأول منها : فان الله الذي أعبده بروحي في إنجيل إبنه شاهد لي كيف – بلا انقطاع – اذكركم » .

وفي إنجيل متى الاصحاح الرابع يقول : « وكان يسوع يطوف أنحاء أرض جاليليا « الجليل » يعلّم الناس الصلاة ، وينقل اليهم بشارة انجيل ملكوت الله [١] .

وإذن فإنجيل عيسى عليه السلام معترف بـه ، ولكنه اندثر ، وانتهى خبره ولم يعد له ذكر ، وهنا يظهر للباحث سؤال : أين هو الكتاب المقدس في المسيحية ؟

---

١ – راجع انجيل متى ص ٦ لغة اندرنيسية .

ولهذا قد جعلوا مكانه « تأليفات » أربع مشكوكاً في صحتها ، وفي نسبتها التاريخية ، كما انها مكتوبة باللغة اليونانية ، وهي لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التي هي لغة سامية ، لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود ، وقرآن العرب[1] .

ويقول كذلك في نفس الرسالة : « ثم الأناجيل : ألم يدخل عليها التنقيح والتهذيب في كثير من المواضيع ؟ التي لم تعرف بعد ، ولماذا أغفل رجال الأناجيل ثلاثين عاماً من حياة المسيح ؟ دون ان يذكروا لنا فيها شيئاً إلا ما اختص بالسنين الثلاث الأخيرة .

وإذا أخذنا بما قيل من ان اثنين من الرسل الأربعة قد ذكروا أشياء عن عهد الطفولة الأولى للمسيح ، فإن هذا الحذف من السنين بعد ذلك يدعو الى فداحة الأمر لأنه يترك المجال فسيحاً لجميع أنواع التأويلات والشبهات التي قد يكون أقلها خطراً ما يقال من ان المسيح طول سني حياته الناضجة لم يكن شيئاً مذكورا ، وان تصرفاته لم تكن تدل على حياة خارقة للعادة مما قد تنسب الى « ابن » الله [2] ! .

ويقول أيضاً : « وأمر آخر فات رجال الأناجيل، ذلك أنه مع عظيم خطر هذه الثلمة في سني حياة المسيح فإن الأناجيل لم ينلها التنقيح الواجب الدال على المهارة والذكاء ذلك لأن واضعيها — وهم قليلو الخبرة بعلم النفس لم يدركوا أن ما يصح ذكره على لسان نبي لا يصح أن يقال على لسان ابن الله ! وإلا كان الأمر غريباً شاذاً نابياً ، على أن هذا هو ما قد حصل ،فقد جاءت في أناجيلهم كلمات كثيرة على لسان المسيح يعجب لها المرء لصدورها من شخص في منزلته :

١ — فمن أقوال المسيح التي فيها حطة واحتقار لأمه العذراء ما صدر منه في

---

١ — أشعة خاصة بنور الإسلام ص ٤١ - ٤٢ .

٢ — ص ٤٤ .

أقول لكم بل انقساماً ، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمون ثلاثة على اثنين ، واثنين على ثلاثة ، ينقسم الاب على الابن ، والابن على الاب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم [١].

« ان كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه ، وأمه ، وامرأته ، وأولاده ، واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً [٢]» .

٦ – ومن أقواله التي فيها اعتراف بالجهل : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ، ولا الآب [٣] . »

٧ – ومن أقواله الدالة على الخوف والغم : « نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا ها هنا واسهروا معي ، ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه ، وكان يصلي قائلاً : يا أبتاه إن أمكن فلتبعد عني هذه الكأس [٤] »

وله غير ذلك من الأقوال في الخوف مما دعا بسكال الفيلسوف الفرنسي إلى أن يقول : إن يسوع يخاف الموت .

٨ – ومن أقواله التي تعبر عن اليأس بالموت من عذاب الجسم وذلك وهو مصلوب : « صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : أبي أبي لم شبقتني » أي إلهي إلهي ، لماذا تركتني [٥] . أما ونحن مسلمون نعظم المسيح ونحترمه ، ونرفعه مكاناً علياً فلا نسمح لأنفسنا بالاعتقاد بصحة هذه الأقوال وأمثالها ، وهي لا تصح

---

١ – راجع لوقا الاصحاح الثاني عشر ٤٩ - ٥٠ ص ١٠٢ ، وراجع متى ٣٥ - ٣٦ ص ١٦ ، لغة اندونيسية .
٢ – راجع لوقا ، الاصحاح الرابع عشر ٢٥ – ٢٦ ص ١٠٥ .
٣ – راجع مرقص ، الاصحاح الثالث عشر ٣٢ ص ٧٠ ، لغة اندونيسية .
٤ – راجع مق ، الاصحاح السادس والعشرون ، ٤٦ ص ٤٣ لغة اندونيسية .
٥ – راجع متى الاصحاح السابع والعشرون ، ٤٦ ص ٤٦ لغة اندونيسية .

الكتاب المقدس في المسيحية ؟

وقد قدمت النص من غير تدخل في عباراته مطلقاً ، اللهم الا انني أعطيت توجيهاً بالمراجع في الأناجيل ورقم الاصحاحات من الانجيل المترجم الى الأندونيسية فقط .

ثانياً : رأي الدكتور نظمي لوقا العربي المصري المعاصر :

تحت عنوان « دين قلب » في كتاب : محمد الرسالة والرسول، يقول الدكتور نظمي لوقا : « وبهذا كان الطور الطبيعي للانسانية ، ان تطلب الهداية في رسالة المسيحية التي لا تدعو إلى التوحيد والتنزيه فحسب ، بل تجعل الله المعشوق الأسمى الذي يتجه اليه وجدان كل انسان فيتلاشى من قلبه حب كل معشوق سواه، ولا يبقى للحس وجاهه سلطان على قلب ذلك المحب، ولا للطقوس قيمة ، لأنه اذا حضر المحبوب لم يكن لتملّي رسمه على الورق أو مناجاة طيفه معنى .

وأعني بالمسيحية هنا ، ما جاء به المسيح من نصوص كلامه لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل [1] .

ويقول تحت عنوان «الله»: لا يدع القرانُ شائبةً من ريب في مسألة وحدانية الله فجاء في « سورة الاخلاص » : « قل هو الله أحد ، الله الصمد » ولا في تنزيهه عن الشرك والتعدد :

« لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . »

وفي ذلك نقض لعقائد الشرك ، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب أيضاً ... فقد صار أتباع المسيح الى القول بألوهيته ، وأنه ابن الله ، وأن الإله الواحد ،

---

١ – ص ٥٧ – ٥٨ .

برنابا ، وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق [1] .

وفي الاصحاح الحادي عشر يقول في نفس الرسالة : « فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في اورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز الى انطاكية ... لأنه كان رجلاً صالحاً ، وممتلئاً من الروح القدس والايمان [2] .

٤ — وفي الاصحاح الثالث عشر من الرسالة نفسها يقول : « وكان في انطاكيا في مجلس يوم الجمعة لعدد من الأنبياء منهم : برنابا ، وسمعان الذي يدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ... وبينما يخدمون الرب ، ويصومون قال الروح القدس : افرزوا لي برنابا ، وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه [3] . ويقول : وكان معهما يوحنا خادماً [4] .

ويقول بولس في رسالته الى أهل كولوسي ، الاصحاح الرابع منها « يسلم عليكم ارسترخص المسجون معي ، ومرقص ابن اخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا[5] من هذه النصوص الدينية — لا سيا التي في سفر الأعمال ، وهي الرسائل التي يعتمد عليها في شرح ماهية التعاليم المسيحية أكثر من الأناجيل... من هذه النصوص تظهر للباحث شخصية برنابا بأنه :

١ — سخي اليد متبرع بماله للرسل من أجل الدعوة .

٢ — طاهر نقي ممتليء بالروح القدس ، وفاضل كريم شفاف .

٣ — اختاره الروح القدس مع شاول « بولس » لنشر الدعوة .

---

١ — ٢٦ — ٢٧ ص ١٧٢ لغة اندونيسية .
٢ — ٢٣ - ٣٠ ص ١٧٦ لغة اندونيسية .
٣ — ١ - ٣ ص ١٧٧ لغة اندونيسية .
٤ — آيات ٥ ص ١٧٧ الاصحاح الثالث عشر .
٥ — آيات ١٠ ص ٢٧٢ ، لغة اندونيسية .

وممتلئاً من الروح القدس[1] . وفي الاصحاح الثالث من الرسالة ذاتها يقول : « قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه [2] . »

٢ – فهو ركن من أركان المسيحية الأولى، وعماد من عمدها، وركيزة من ركائزها، ولهذا يجمع المسيحيون على أنه قديس من القديسين ورسول من الرسل الذين حلت عليهم بركات الروح القدس ، غير أنهم لا يعدونه حوارياً من الحواريين ، وإن كان انجيله شخصياً يعتبره حوارياً .

وعلى كل حال فهو استاذ مرقص ، بل مرقص خادم له ، وهو إمام بولس (شاول) بل شاول مدين له بالفضل في تقريبه من التلاميذ الذين أبغضوه وخافوا اجرامه [3] .

واذن منزلة برنابا :

١ – حواري من الحواريين : اذا اتبع الباحث انجيل برنابا .

٢ – أو هو قديس من الرسل الذين لهم سهم كبير في العمل الديني ، وذلك اذا اتبعنا آراء المتعصبين .

ومن هنا فان منزلة برنابا الدينية لا يمكن ان تقل في نظر البحث العلمي ، ولا يمكن ان يغمطها الباحث عن درجة رسول من الرسل وقديس من القديسين، ومجاهد كبير ، وداعية مختار ، ممتلىء بالبركة من الروح القدس ، فهو من الملهمين المجاهدين الأبرار .

---

١ – ص ١٧٦ .
٢ – ص ١٧٧ .
٣ – كما يقول الاصحاح رقم ٩ من رسالة اعمال الرسل ص ١٧١ – ١٧٣ لغة اندونيسية .

٥ — ثم من البابا جلاسيوس الأول ؟

يقول الدكتور سعادة بك : أصدر البابا جلاسيوس الأول أوامره أول أن جلس على أريكة البابوية عام ٤٩٢ م بعدد أسماء الكتب المحرمة الممنوع مطالعتها ، ومنها كتاب يسمى انجيل برنابا من هذه النصوص يدرك الباحث ادراكاً جازماً — أن انجيل برنابا حقيقة علمية :

١ — اتخذت طريقها التاريخي في الاختفاء والظهور والترجمة كما وضحنا أسسه في النقاط الأربع السالفة .

٢ — وأنها أغاظت كبار رجال الكنيسة فحرمتها ضمن التحاريم التي تخترعها البابوية الغربية ولا يحرم إلا ما كان له ذات تكون محلاً للتحريم ؟

وموجز أمر انجيل برنابا كما يقصه التاريخ :

١ — يتفق المؤرخون على أن النسخة الأولى التي عثر عليها كانت باللغة الايطالية ، وهي التي عثر عليها الراهب كريمر عام ١٧٠٩ .

٢ - انتقلت هذه النسخة من يد راهب مسيحي إلى البلاط الملكي في فينا فكانت النسخة في رحاب دولة مسيحية عام ١٧٣٨ م.

٣ — النسخة الاسبانية التي وجدت : كانت في ظلال دولة مسيحية متعصبة قامت على انقاض دولة اسلامية منهارة وهي الاندلس التي صارت اسبانيا .

٤ — هذه النسخة ترجمها من الاسبانية الى الانجليزية مستشرق مسيحي ، والمستشرقون المسيحيون مشهورون بعاطفتهم تجاه مسيحيتهم .

٥ — ثم جاء دور الراهب فرامينو فبحث عنها لأنه وجد لها ذكراً فيما كتبه اريانوس يستنكر مخترعات بولس ويستند في كتابته إلى انجيل برنابا .

للحق نوره الذي يراد له الانطفاء ؟

خطورة انجيل برنابا :

من أجل أن أقدم للبحث في المستقبل مادة ، أحب أن أشير الى خطورة انجيل برنابا ، فلعلها تكون هي الرؤوس للمسائل العلمية والدينية التي حملت المجامع والبابوية والكنيسة على اتخاذ قرار بتحريم انجيل برنابا ، ذلك :

١ – ان برنابا قديس وهو قديس ومجاهد بلا منازع ، ثم هو أستاذ مرقص، وسيد بولس .

٢ – ومتفق مع بطرس في الرأي بعدم القول بألوهية المسيح .

٣ – وهو يرى أن الذبيح من أبناء إبراهيم عليه السلام إسماعيل، لا إسحاق.

٤ – ويبشر بمحمد ﷺ بالنص .

٥ – ولا يتفق مع الأناجيل الأخرى في القول بصلب المسيح ، بل إنه يجهّل القائلين بذلك .

٦ – ولا يقول بالتثليث ، ولا يرى الطرق الجديـدة في المسيحيـة إلا إختراعاً من عمل الناس فيها .

وحول ذلك تقول النصوص من انجيل برنابا :

حول نفي المسيح كابن لله : يقول : « أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام بنبيّه يسوع المسيح برحمة عظيمة ، للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً ، مجوّزين كل لحم نجس الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى

إسحاق البكر ، وهو لمّا وُلد كان إسماعيل ابن سبع سنين » .

وحول نفيه للقول بصلب المسيح يقول : الحق أقول إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع ، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع ، معتقدين أن يسوع كان نبيّاً كاذباً ، وإنما الآيات التي فعلها بصناعة السحر لأن يسوع قال إنه لا يموت الى وشك انقضاء العالم ، لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم » .

ويقول برنابا أيضاً في عودة عيسى بعد رفعه ليؤدب تلاميذه « أتحسبونني انا والله كاذبين لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم ، كما قد قلت لكم ، الحق أقول لكم إني لم أمت ، بل يهوذا الخائن ، احذروا ، لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ولكن كونوا شهودي في كل بني إسرائيل ، وفي العالم كله — لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها » .

وحول الاعتراف بالنبوة المحمدية يقول برنابا « إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه ، لأني لست أهلاً لأن أحلّ رباطات أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي ، وسيأتي بعدي بكلام الحق ، ولا يكون لدينه نهاية » .

يقول الدكتور سعادة بك إن المراد من مسيا محمد ، ويقول : إن برنابا ذكر محمداً باللفظ الصريح في عدة فصول ، ووصفه بأنه رسول الله ، وذكر أن آدم لما طرد من الجنة رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من النور « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

لعل هذه النصوص التي قدمتها تساعد الباحثين على السواء ، من المسلمين أو غيرهم ، ليحددوا لنا الإجابة عن الأسئلة السالفة التي ملخصها :

لماذا حرّمت المجامع والبابوية والكنيسة إنجيل برنابا ، مع ملاحظة ، أن منزلته في المسيحية إنْ من حيث المكانة أو الزمن ، أو الثقافة أكبر ، وأقدم

هي أصل الدستور الذي بيَّنه المجمع النيقـاوي ، هي : الإيمان بإله واحد ، أب واحد ضابط الكل : خالق السماء والأرض كلّ ما يُرى وما لا يُرى ، وبرب واحد يسوع الإبن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله ، إله حق من إله حق ، مولود من غير مخـلوق ، مساو للأب في الجوهر ، الذي به كل شيء ، والذي من أجلنا – نحن البشر – ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسَّد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، وصلب عنا على عهد بيلاطس » .

٢ – ويقول الدكتور بوست في كتابه « تاريخ الكتاب المقدس » : « طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساويـة : الله الأب ، والله الإبن ، والله الروح القدس ، فإلى الأب ينتمي الخـلق بواسطة الإبن ، وإلى الإبن الفداء ، والى الروح القدس التطهير » .

٣ – ويشرح هذا الكلام القس بوطر في رسالة له سماها «الأصول والفروع» فيقول : « بعد ما خلق الله العالم وتوَّج خليقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى ما يصرح بوحدانيته ، كما يتبين ذلك من التوراة.

يلاحظ في هذه النصوص من أقوال علماء المسيحية أنها تحتوي على :

١ – القول بالتثليث .

٢ – والقول بأن عيسى ابن الله .

٣ – والقول بتساوي الأقانيم في الجوهر .

٤ – وبأن عيسى ابن إله نزل من السماء ليقبل الصلب فداء للبشر المخطئين .

٥ – ولكن القس إبراهيم سعيد (المصري) يحـاول في رسالته « بشارة لوقا » أن يقول بالتوحيد بين الأقانيم ، وان الولادة ليس المراد منهـا الولادة الطبيعية بل المحبة فيقول : « موجز المعنى المراد » بابن العلي ،

٣ – من مرقص: الاصحاح ١٤/٦١ – ٦٢ ص ٧٣ .

٤ – كتاب أشعياء : ٩/٥ – ٦ ص ٧٣٥ ، ٧/١٤ ص ٧٣٣، ٦/١١ص٧٣٣.

ثانياً : الصلب والصليب :

في انجيل لوقا « وإن ابن الإنسان قد جاء لكي يصلب ويخلص ما قد هلك ، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقاً للخلاص » .

وفي انجيل يوحنا : « وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً اليه فقال هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم [1] .

وفي انجيل لوقا : « وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني » .

وفي انجيل يوحنا: فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجلة [2] .

ويشرح هذه النصوص القس ابراهيم سعيد (المصري) فيقـول : (إن آثار قدمي المعلم تعين طريق خطوات التلاميذ ، لأنه وإن كان المسيح قد صلب عنا ، فقال في صلبه « قد أكمل » لكنا قد أصبحنا بحكم صلبة عنا تحت التزام شرعي لا لأننا نكون شركاء المسيح المتألم ، إن شراكتنا الشرعية مع المسيح المصلوب ينبغي أن ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعلية معه ، إن صلب المسيح معناه مات عنا ، ولكن صليب كل مؤمن معنـاه : موت النفس عن الأنانيّة وحب الذات » .

١ – ١ : ٢٩/ ص ١٢٤ .
٢ – ١٩/١ ص ١٥٤ .

وأمـا الابن والأم وزوج الأم والصليب وقلب يسوع المقدس فلهـا كل الصلوات ، ولها آلاف الصور والتماثيل ذات الاحترام والإجلال ، وكلها مقدسة عندهم مثل تقديس الوثنيين لأصنامهم التي تمثل معبوداتهم .

كذلك : (يا هو) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهـم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة ، وكذلك تراه في متحف الفاتيكان ، وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة [1] .

٢ – ويقول كذلك حول الوساطة وصكوك الغفران : ان هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الأديان ، وأنهم لكذلك مهما كانت عقيـدتهم ومهما كان اخلاصهم وحسن نيتهم ، وقد أدرك المسيح نفسه ذلك : ألم يطرد (بائعي الهيكل) ؟ غير أن اتباعه لم يفعلوا مثل ما فعـل واليوم إذا عاد عيسى فكم يطرد من أمثـال بائعي الهيكل ؟ ، كذلك ما أكثر البلايا والمصائب بل ما أكثر المذابح التي يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات وبعضها أو بين الشعوب والشعوب ، وهم في ذلك كله يصيحون : (باسم مجد الله ؟) .

٣ – ويقول حول تصرف الكنيسة : « ثم إنهم عكسوا الآية ، وبدّلوا النيات وغيّروا الأوامر والنواهي ولم يدركوا قصد عيسى ولا مرماه النبيـل العالي ولا فهموا معنـاه الحقيقي حيث يقول : « جئت لألقي ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ كلا ، أقول لكم بل انقساماً لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنين على ثلاثة ، ينقسم الأب على الابن ، والابن على الأب ، والأم على البنت والبنت على الأم [2] .

---

١ – النص من كتاب « أشعة خاصة بنور الاسلام » ص ٢٥ – ٢٦ .

٢ – راجع ص ٢٣ – ٣٤ .

وفاقاً على خطيئة آدم ، بإيعاز من حواء ، وأنه لولا النجاة على يد المسيح الذي فدى البشر بدمه الطهور ، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين . وإن أنس لا أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري عن ملايين البشر قبل المسيح ، أين هم ؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة ؟

فكان لا بد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة ، وتطمئنهم إلى العدالة التي لا تأخذ البريء بالجرم ، أو تزر الولد بوزر الوالد ، وتجعل للبشرية كرامة مضمونة ، ويحسم القرآن هذا الأمر ، حين يتعرض لقصة آدم ، وما يروي فيها من أكل الثمرة المحرّمة فيقول في سورة طه : (وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى[1] .)

٣ – ويقول الدكتور نظمي لوقا حول الاحساس بقيم الدين الصحيح للانسان المنصف : « والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء ، فيمضي في حياته مضي المريب المتردد ، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .

ان تلك الفكرة القاسية – الخطيئة الأولى وفداؤها – تسمم ينابيع الحياة كلها ، ورفعها عن كاهل الانسان منّة عظمى ، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه ، بل هو ولادة جديدة حقاً ، ورد اعتبار لا شك فيه ، إنه تمزيق صحيفة السوابق ، ووضع زمام كل انسان بيد نفسه ، والناس في كرامة البشرية أمة واحدة بغير تفريق ، فقد جاء في سورة الأنبياء : « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون[2] . »

١ – راجع ص ٧٥ – ٧٦ محمد الرسالة والرسول .
٢ – راجع ص ٧٨ .

الحق أقول لكم : إن صوت يهوذا ، ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع ، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبياً كاذباً ، وإنما الآيات التي فعلها بصناعة السحر لأن يسوع لا يموت الى وشك انقضاء العالم لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم.

ويقول : فنزل ثلاثة أيام ، ثم يقول برنابا « ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات ، وقام قائلاً : أتحسبونني أنا والله كاذبَيْنِ ، لأن الله وهبني أن أعيش ، حتى قبيل انقضاء العالم كما قلت لكم ، الحق أقول لكم ، إني لم أمت بل يهوذا الخائن ، إحذروا ، لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ، ولكن كونوا شهودي في كل بني اسرائيل ، وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها ، وسمعتموها » .

ذلك هو فهم ، ونص ما قال به برنابا ، وحتى أقدم للباحث مادة شبه كاملة حول هذه النقطة فإنني أقدم هنا نصين :

الأول : من انجيل يوحنا ، حول اعتراف المسيح بأنه ذاهب الى ربه ، أو الى إلهه ، وإله الناس .

الثاني : من رسالة الأعمال ، إذ يحكي كاتبها نصائح برنابا وبولس الى أهل قبرص حول عبادة الله الحي الذي خلق السماء والأرض .

إذ في النصين كبير شبه للمعاني التي ذكرها برنابا حول المسيحية التي تلقاها هو من معينها الأول أيام المسيح عليه السلام .

ثم أقدم كذلك نصاً من إنجيل (يوحنا) مما يفيد كلامه ، إن عقيدة التثليث ما هي إلا دعوة من كاتب انجيل يوحنا ، وليست نصاً من كلام المسيح ، فلربما تساعد هذه النصوص على تقديم نور المسيحية في مستقبل العمر ، لمِن شاء أن يستقيم .

ولهـذا السبب وأمثاله ألّف برنابا انجيله حيث يقول في مقدمته: « الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته » .

وإذن فبين الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا بون شاسع في تصوير العقيـــدة والديانة المسيحية :

١ — ففي الأناجيل الأربعة تصور العقيدة تصويراً أقنومياً (ثلاثة أقانيم) بينما هي في برنابا ، عقيدة سهلة واضحة : الله ربالعالمينخالقالسموات والأرض .

٢ — تصور الأناجيل الأربعة عيسى على انه ابن الله ، ويصوره انجيل برنابا على أنه نبي الله ، ويؤكد ذلك ، ويأسى ويتأذى لمـا نشره بولس من أعمال ويكتب إنجيله رداً وتصحيحاً للحق الذي أُريد به التضليل .

٣ — وفي الاناجيل الأربعة عيسى صلب ، وفي برنابا عيسى لم يصلب ولم يمت بل رفع لأنه من قبل وعد بذلك ، وان جانباً من الناس لما سمع مقالة الصلب اعتقد أن المسيح نبي كاذب لأنه وعـــد بأنه لن يموت إلا قرب قيام الساعة .

وإذن : فلماذا تحرّم البابوية والمجامع والكنيسة انجيل برنابا ؟ هل لهـذه الفروق ؟ أو لشيء آخر ؟ ذلك ما نرجو من الباحثين أن يقدموه للتاريـخ حتى نقدم للمسيحية نوراً .

المصدر الثاني

الرسائـــــل

المصدر الثاني بعد الأناجيل الأربعة – غير إنجيل برنابا – الذي تعتمـده الكنيسة كمصدر للديانة المسيحية هو رسائل الرسل ، وتعتبر المصدر النـاطق بالتعاليم المسيحية التي تصوّر الفكرة ، وتحدد الواجبات ، والشعائر والمراسيم والطقوس الدينية. وموجز تخطيطنا لها كمقدمات لدراسة المسيحية يتلخص في :

١ – معناها .
٢ – عددها .
٣ – لغة تدوينها .
٤ – مَن هم كاتبوها .
٥ – وظيفتها الدينية .

وأعني بهذه الخطوط الملامح الرئيسية التي ينهجها أو يستضيء بهـا الباحث إن شاء في عملية البحث العلمي في تقديمنا للمسيحية نوراً ، لعلهم يرشدون ؟

أولاً – معنى الرسائل :

تسمى « رسائل أعمال الرسل » في الاصطلاح الكنسي :«الأسفار التعليمية» لأنها تشرح وتوضح وتبين وتفسر حياة السيد المسيح وحكاية أحواله ومواعظه من الناحية التطبيقية التفصيلية .

أما الأناجيل فهي قصة الماضي من حكاية حياة المسيح ، فهي تصور الحركة

والثانية والعشرون : كتبها يهوذا .

والثالثة والعشرون : وتسمى « السفر النبوي » وهي عبارة عن رؤيا يوحنا. وهي تخالف في المنهج والهدف الرسائل السابقة لأنها تعنى ببيان ألوهية عيسى ، وسلطانه ، بينما الرسائل الأخرى تعتبر مادة وعظ ، وقصص عبادة ، ودروس دين .

فرسالة يوحنا تهتم ببيان ألوهية المسيح وعلمه بالكنيسة وأحوال رجالها والقوانين التي تسير عليها من بعده ،وهي تارة تصوّر الله في عليائه كشيخ أشيب يشبه المسيح متمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من الذهب ، وعيناه كلهب النار ، ويمسك بيده سبعة كواكب ،وسيفاً حاداً له حدّان ، وتارة تصوّر المسيح خروفاً قائماً كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين ... الخ (راجع الإصحاح الأول ، والخامس من الرؤيا) .

ثالثاً – لغة تدوينها :

يقول الواثقون في تاريخ الرسائل ، ان اللغة التي كتبت بها هذه الرسائل هي اللغة اليونانية .

رابعاً – من هم كاتبو هذه الرسائل :

أو بعبارة أخرى : ضوء على تاريخ كاتبيها : وكاتبو هذه الرسائل ستة رجال ، هم :

١ – لوقا ، ٢ – يوحنا ، ٣ – بطرس ،
٤ – يعقوب ، ٥ – يهوذا ، ٦ – بولس .

١ ، ٢ – أما الأولان : **لوقا ، ويوحنا**: فقد مضى الحديث عنهما في الحديث عن الأناجيل (راجع صفحة ٢٢ الى صفحة ٢٦ من هذه الرسالة) .

٣ – **وأما بطرس** : فقد كان من الحواريين ،وأسمه ، الأصلي سمعان ، وكانت

لا ينبىء بمستقبل شريف طيب مع المسيحية ، هذا من جـانب ، ومن جانب آخر فهو الأستاذ الأكبر للتفسيرات المسيحية ، والمعين المبجل للعبادة والطقوس والبروتوكولات الكنائسية ، وعليه وحده يعتمـد في تفسير شعائر ومراسيم الاحتفالات الدينية ، يقول في سفر الاعمال من الإصحاح الثاني والعشرين مـا نصه : « أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكة ، ولكني ربيت في هذه المدينة (أورشليم) .

ولكنه يذكر في الاصحاح الثالث والعشرين « ولما علم بولس أن قسماً منهم صدوقيـُّون والآخرون فريسيـُّون ، صرخ في الجمع: « أيها الرجال الإخوة : أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الاموات ، أنا أخوكم » .

ويذكر في الاصحاح الثاني والعشرين « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف ، أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً مقضى عليه » ؟ وإذن فما هي جنسيته ؟ هل هو روماني ؟ هل هو فريسي ؟ هل هو يهودي ؟ ذلك أمر جد خطير في تحديد جنسيته ، ثم لماذا تتضارب كلماته هو في تحديد جنسيته ؟ فمرة يقول انه روماني ، ومرة يقول انـــه فريسي ؟ ومرة يدعي انه ولد في أورشليم ، فهو يهودي ؟ لماذا هذا التضارب منه هو في تحديد هويته وجنسيته؟

موقفه من المسيحية :

أولاً – لقد بدأ حياته عدواً قاسياً في عداوته للديانة المسيحية ، وأنـه في بدء حياته ليعد من أكبر الأعداء خصومة ، وقسوة ، وأغناهم كرهاً لهـا ، وأبلغهم أذى لمعتنقيها ، وقد جاء هذا في رسالة « أعمال الرسل » في عديد من أجزائها ، وفي مطلعها يقول ما نصه : « شاول الذي ما يزال يُخصِب الخوف ، ويفشي القتل في تلاميذ الرب قد توجه الى الإمام الكبير [١] » .

---

١ – الاصحاح التاسع آيات ١ ص ١٧١ لغة اندونيسية .

ملاحظات عامة على الرسائل :

في هذه الرسائل نقاط ينبغي أن تدرس ، وهي :

١ — ممن تلقى كاتبوها هذا الكلام المقدس؟ وما سندهم الذي يثبت صحة وحيها؟

٢ — هل الرسائل وحي أو تفسيرات للوحي ؟

٣ — وهل هناك وحي أُنزل على المسيح، مع ملاحظة أنه ابن الله ، والوحي صلة بين الأنبياء وربهم ، وأسرة الألوهية لا ينبغي أن يكون بينها وسيط وموصل ، لأن صلة الألوهية أعلى وأقدس .

٤ — رسالة الأعمال لم تذكر أسماء المائة والعشرين الذين ملئوا من الروح القدس ؟

٥ — أسماء الحواريين الأحد عشر لم تشتمل على كل كاتبي الرسائل : معناه :

١ — أن جانباً من الحواريين لم يكتب رسائل ؟ فلماذا ؟ لا سيا إذا اتبعنا الإدعاء القائل عندهم أن الرسائل إلهام .

٢ — أن جانباً من غير الحواريين قد كتب رسائل ، فكيف كتبها ، وهل هذا الكاتب ملهم أو غير ملهم ؟ وإذا كان ملهماً ، فما هو الإلهام ؟ وهل هو عام لجميع البشر ؟ أو خاص بالحواريين ، وإذا كان خاصاً بالحواريين فكيف حق لغير الحواريين أن يكتب رسائل ، وهل لا بد من الإلهام في كتابة الرسائل أو ليس بلازم ؟ وإذا لم يكن لازماً فما هي منزلة هذه الرسائل من العصمة ككتاب ديني ، وإذا كان الإلهام لازماً فكيف يكتب الرسائل من لم يكن ملهماً .

٦ — وحتى أقدّم مادة علمية لبحث الأسئلة السالفة أنقل هنا آراء بعض المسيحيين حول : الإلهام، وإلهام بعض كتّاب الرسائل :

١ — يقول ريس المسيحي ان الناس تكلموا في الكتب المقدسة ، وقالوا

والثالثة ، رسالة يعقوب، رسالة يهوذا، رؤيا يوحنا التي تسمى الكتاب النبوي .

كل هذه الرسائل – التي تعتبر أساس التدين المسيحي – لم يعترف بها مجمع نيقية ولم تحصل على اعتراف إلا في مجمع لوديسيا عام ٣٦٤ م .

٧ – ليس لهذه الرسائل سند متصل أبداً فهي لم تعرف إلا على لسان أرينوس عام ٢٠٠ م ، وكليمنس عام ٢١٦ م .

٨ – أصدرت الحكومة الرومانية في عهد الاضطهاد عام ٣٠٣ م أمرها بهدم الكنائس ، وإحراق الكتب ، وحظر اجتماع المسيحيين لأداء عباداتهم . ونفذ هذا ، بل إن بعض القديسين مثل بولس (شاول) كان من الهاوين لهذه الحرفة ، وغص الاصحاح التاسع من رسالة الأعمال بتاريخ حوادثه .

وإذن فهل يمكن إثبات السند المتصل ، وإثبات الإلهام ؟ ذلك ما نرجو للبحث أن يظهره كحقيقة تاريخية وعلمية لنقدم للمسيحية نوراً .

فليس من التعصب أن نبحثها لنقدم لها الضوء الذي تسير عليه مطلقاً وإنما من الظلم أن نتركها فإن الإنسانية هي القدر المشترك بين بني الإنسان ، وتحقيقها تحقيق للإنسان ، وعصب ذلك النصيحة القائمة على أُسس البحث النزيه المجرد من الهوى ، وفي تركها إهدار لحقيقة جزء من البشر وأنانية لا تليق بكرامة الإنسان كإنسان ، وبالبحث نرفع عنا عار الأنانية ، وبالعلم يرتفع الإنسان فوق قيم الحيوان الانانية ، فللعدل والحق والإنسانية ابحثوا ، لتقدموا لها نوراً ...

المقالة الرابعة

المجامع المسيحيّة :

١ ـــ أهمية دراستها .

٢ ـــ أنواعها .

٣ ـــ أسباب الانعقاد ، جملة الحاضرين .

القرارات ، الملاحظات .

المجامع المسيحية

١ – أهمية دراستها :

أهمية دراسة المجامع المسيحية تتصل بقضية التثليث في العقيدة المسيحية ، وذلك : لأن عقيدة التثليث على النظام الموجود حالياً الذي تتصف به الديانة المسيحية حاضراً لم يكن من التعاليم التي جاء بها السيد المسيح ، بل ولا من تعاليم الانجيل في حدود نصوصه الدينية ، ولكنه كان من تفسيرات القساوسة والأساقفة في المجامع التي انعقدت خاصة لمثل هذه التأويلات في العقيدة الدينية المسيحية ، ومجمعاً بعد مجمع ، وطائفة بعد طائفة ، ولد ذلك الذي يسميه المسيحيون اليوم بالأقانيم .

فأهمية دراسة المجامع المسيحية من زاوية أنها أضفت على وجودها مسحة من الأحقية في التشريع الديني بما لا يوجد له ، ولا به ، ولا فيه ، نص واحد من نصوص الأناجيل ، بل إن الرسائل التي تعتبر المصدر الوحيد للطقوس ، والبروتوكول الديني لم يعترف بها إلا في بدء القرن الرابع الميلادي ، وما قبله من الزمن فهي إما مجهولة ، أو غير معترف بصحتها .

وإذن فأهمية الدراسة لهذه المجامع من ناحية هامة وهي،تحديد بدء الإتفاق على القول بالتثليث ، وتحديد بدء إدخاله في الديانة المسيحية كنظام ديني . كذلك تحديد الفاعلين ، والقائلين والمتمذهبين بهذا التثليث ، وأدلتهم ومراجعهم الدينية ، أو التاريخية .

أ – المجامع الملية : الخاصة بملة واحدة .

ب– المجامع الاقلية التي تجمع مذاهب وملل موضع محدد .

كالمجمع الإقليمي الذي انعقد في جاكرتا قبيل انعقاد مجلس الشورى الديني في نوفمبر عام ١٩٦٧ م لتوقيع ميثاق بين كل الطوائف للتحالف على مواجهة المسلمين بكلمة واحدة في الاجتماعات التي عقدتها الحكومة الإندونيسية لإنهاء حالة الاعتداء التي يشنها جانب من علماء الدين على الأديان المسالمة .

ومن هذا التقسيم يظهر لنا أن حاجة الدراسة إنما تختص بالمجامع العامة لأنها هي المختصة بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة التي ينبغي أن تلتزم بها كل الطوائف والكنائس والقسيسين ، والرهبان ، والأساقفة ، والبطريركيات ... الخ .

ومن هنا فان الخطوط التي سأقدمها في هذه الرسالة إنما هي عن المجامع العامة التي لها سلطان التشريع العام ، لنرى الى أي حد كانت ، وتكون ، مسؤوليتها الدينية والتاريخية .

ثانياً : عددها ؟

يقول المؤرخون : ان الاحصائيات التي أجريت لمعرفة عدد المجامع التي انعقدت بين المدة من القرن الأول المسيحي الى عام ١٨٦٩ م تساوي عشرين مجمعاً ، هكذا يروي نوفل بن نعمة الله بن جرجس في كتابه « سوسنة سليمان » ، مع الاختلاف والإنكار لعمومية بعضها أو لصحة قرارتها .

وأخطر المجامع التي لها صلة بقضايا التثليث أربعة وهي :

١ – مجمع نيقية الأول المنعقد في ٣٢٥ م.

٢ – مجمع قسطنطينية الأول المنعقد في ٣٨١ م.

٣ – مجمع افسس المنعقد في ٤٣١ م .

وكانت الدولة الرومانية قد خففت اضطهادها عن النشاط المسيحي ، بل إنها شاءت أن تحتضن المسيحيين ، فعطف قسطنطين الملك على المسيحيين ، وأراد أن يحسم النزاع فدعا هو الى عقد مجمع نيقية ٣٢٥ م ، وأرسل بذاته رسائل إلى الفرق المتخاصمة وهي : أريوس نفسه وبطريرك الاسكندرية . وجمع قسطنطين بينهما ، ولكن الاجتماع أسفر عن خيبة أمل وإخفاق في المحادثات ، فانتقل الموقف إلى قمة أعلى ، وهو عقد مجمع نيقية ، لفض النزاع القائم بين : الموحدين المائلين إلى فكرة أريوس وغيرهم .

وفي هذا يقول ابن البطريق: « بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة ، فاجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة (٢٠٤٨) وكانوا مختلفين في الآراء والأديان :

فمنهم من كان يقول ان المسيح وأمه إلهان من دون الله وهما البرابرانية ، ويسمون الريميتين .

ومنهم من كان يقول ان المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها ، وهي مقالة سابليوس وشيعته .
ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت في أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهي مقالة اليان وأشياعه .

ومنهم من كان يقول ان المسيح انسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وإن ابتدأ الابن من مريم ، وانه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الأسمى ، صحبته النعمة الإلهية ، وحلت فيه المحبة والمشيئة ! ولذلك سمي ابن الله ، ويقولون : ان الله جوهر قديم واحد ، وأقنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بالروح القدس ، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك انطاكية وأشياعه وهم البولقانيون .

١ – الكنيسة الرسولية تحرم القول بأن الزمن قد خلا من ابن الله بتاتاً .

٢ – طرد كل من يخرج على هذه العقيدة .

٤ – **الملاحظات :**

١ – اتخذ المجمع قراره بأقلية مغلوبة على أمرها .

٢ – كان للملك قسطنطين اليد الأولى في ترجيح مذهب بولس الرسول الذي انتهى اليه المجمع .

٣ – كيف يؤخذ برأي قسطنطين في ترجيح مسألة في العقيدة مع ملاحظة أنه ليس قديساً ، ولا قسيساً ، بل ولا مسيحياً ، فما زال حتى انعقاد المجمع محايداً يعطف فقط على المسيحيين ؟

٤ – ما هي سلطة المجمع الدينية في الأناجيل لتُحل أو تحرم من غير الرجوع الى النصوص في الأناجيل ؟

٥ – كيف يمكن تفسير موقف أحد الأساقفة الذين اتبعوا الملك في القول بألوهية عيسى ثم عندما سنحت له الفرصة عارضها وندّد بها ، وراح يدعو إلى مذهب أريوس ؟ ذلكم هو الأسقف : أوسابيوس ، الذي تقرب الى قسطنطين حتى عيّنه بطريركاً للقسطنطينية فانقلب وراح يدعو ويروج مذهب أريوس ، وأظهر ذلك في مجمع (صورن) الذي انتهت المناقشات فيه الى الملاكمات بالأيدي ، وضربوا بطريرك الاسكندرية على رأسه ليخرج منه الوثنية لأنه كان مخالفاً لرأي أوسابيوس ؟ كيف يمكن تفسير هذا الموقف ، مع أن الرجل كان واحداً من الموافقين على ألوهية المسيح ؟ على الأقل ألا يعطينا هذا الحدث دليلاً على أن المجمع الأول في « نيقية » قد قرر قرارات رغم أنف جانب من الحاضرين ؟

إلا مائة وخمسين أسقفاً لا ينضم في سلك المجامع المسكونية إلا بعـــد أن يقره جميـــع الكنائس .

٣ – القرارات :

١ – إثبات ان الروح القدس هي روح الله وهي حياته ، فهي من اللاهوت الإلهي .

٢ – لعنة مكدونيوس وأشياعه ، وكل من يخالف هـذا القرار من البطاركة وغيرهم .. الخ .

٤ – الملاحظات :

١ – بهذا المجمع القسطنطيني في عام ٣٨١ م. أي في أواخر القرن الرابـع الميلادي اكتملت فكرة التثليث كعقيدة للمسيحية ، بعد جدال عنيف بين الطوائف .

٢ – هذه الفكرة التي اتخذتها المجامع بالترتيب وعلى التوالي ، لم تقرر بأغلبية عامة مطلقة كما هو الشأن في المجامع والمؤتمرات العامة ، ولكنها اتخذت بالأغلبية المغلوبة على أمرها ، بل بالمخالفة للقرارات التي انتهى اليها .

٣ – في قرارات هذا المجمع خروج على ما قرره مجمع نيقية بالزيادة. وحول هذا يقول مؤرخ المسيحية ابن البطريق : « زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية : الإيمـــان بروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والإبن مسجود له ، وممجد ، وثبتوا أن الآب والإبن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه ، وثلاثة خواص ، توحيد في تثليث ، وتثليث في توحيد، كيان واحد في ثلاثـة أقانيم، إله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة » .

والسؤال الذي ينبغي أن يكون جوابه شافياً : من أين لهم هذا ؟!

ولكن بالموهبة ، وإذن فنسطور لا يقول بألوهية المسيح ، ولا يقول انه هو ابن الله .

٢ – مذهب أسقف رومية وبطريرك الاسكندرية ، على العادة خرجت جموع الأساقفة الوثنيين يعارضون فكرة نسطور في تفسيره للأقانيم ، وقوله ببشرية المسيح ، وفي مطلعهم أسقف رومية ، وبطريرك الاسكندرية ، ودارت بينهم مكاتبات بشأن عقد مجمع للنظر في بدعة نسطور ، فاتفقوا على عقد مجمع في أفسس لبحث هذا الموضوع .

٢ – عدد المجتمعين :

جرت مراسلات بين :

(١) أسقف رومية ، (٢) بطريرك الاسكندرية ، (٣) أساقفة انطاكية ، (٤) أساقفة بيت المقدس .

غير أن نسطور امتنع عن الحضور لما علمه من النية حول لعنه وطرده ، واتخاذ قرار ضد مذهبه ، وكذلك تبعه أساقفة انطاكية ، فبقي من المتراسلين لعقد الاجتماع بطريرك الاسكندرية ، وأساقفة رومية ، وبيت المقدس .
وفي أفسس عام ٤٣١ م انعقد المجمع بقوة (٢٠٠) مئتي أسقف لا غير .

٣ – القرارات :

١ – مريم العذراء أم الله كما يقول في ذلك كتابهم الذي وقعوه ، ان مريم القديسة العذراء ولدت إلهنا يسوع المسيح الذي مع أبيه في الطبيعة ، ومع الناس في الناسوت والطبيعة .

٢ – أقروا بطبيعتين للمسيح : واحدة لاهوتية ، والأخرى ناسوتية بشرية .

٣ – لعن نسطور ونفيه الى مصر .

شغب وصخب وعراك شديد وعنيف ، وبرزت أفكار دينية حول :

١ — صحة انعقاد مجمع أفسس الثاني .

٢ — مدى سلطانه التشريعي ، ومدى الاحترام الذي تناله قراراته .

٣ — وقيمة القرارات الحرمانية التي يصدرها : هل تُحترم وتُعتبر نافذه المفعول ، أو مُلغاة ؟

لكل هذا عمّ البيئة المسيحية نزاع وعراك وفوضى فكرية ودينية فأرادت ملكة الرومان وزوجها إنهاء ذلك الشغب ، فدعت حكومتها الى عقد مجمع في مدينة خليقيدونية في عام ٤٥١ م .

٢ — عدد المجتمعين :

يقول الكانيون المسيحيون : ان مجمع خلقيدونية المنعقد في أكتوبر عام ٤٥١ م حضره (٥٢٠) عشرون وخمسمائة أسقف ، تحت إشراف زوج الملكة .

وقد ساد اجتماع هذا المجمع صخب وفوضى ولّدته مشكلة اقتراح إخراج ديسكورس بطريرك الاسكندرية بتهمة أنه عقد مجمع أفسس الثاني بغير إذن من الكرسي الرسولي المقصود به (بابا روما) ،ولكن مندوبي الحكومة رفضوا هذا الاقتراح ، فوقع بسبب ذلك ألوان عديدة من المشاجرات والمنازعات .

٣ — القرارات :

١ — إن المسيح فيه طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة ، وإن الألوهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحده ، التقتا في المسيح ، وحول هذا ينقل ابن البطريق : « قالوا ، إن مريم العذراء ولدت إلهاً ، ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية ، وشهدوا أن المسيح طبيعتان وأقنوم واحد ، ووجه واحد » .

الحكم الذي صدر ضد بطريركهم ماس بحريتهم الوطنية مجحف بحقوقهم السياسية ، ولو انه حكم ديني صرف » .

٣ – ظهور مذهب جديد ، وهو مذهب يعقوب البراذعي وفيه يدعو إلى مذهب الكنيسة المصرية التي ترى أن المسيح له طبيعة واحدة على خلاف ما قرره المجمع الرابع الذي انعقد في خلقيدونية عام ٤٥١ م، وذلك في خلال القرن السادس الميلادي .

وبهذا فقد بدأ انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية ، ويوجز لنا هذا الحال كتاب «تاريخ المسيحية في مصر» فيقول : « كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت ايمانها من كيرلس ، وديسكورس ، ومعهـا الكنائس الحبشية ، والسريانية والارثوذكسية ، تعتقد بأن الله ذات واحدة ، مثلثة الأقانيم ، أقنوم الآب ، وأقنوم الإبن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الإبن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصيّر هذا الجسد معه جسداً واحداً ، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط ، والامتزاج ، والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهـذا الاتحاد صار الإبن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة » .

تعقيب :

هذه هي أهم المجامع التي لها الخطر الأكبر في حياة المسيحية كعقيدة ونظام ودين وخلق ، واننا نقدم للباحث أربع نقاط هامة جداً ليلاحظها عند البحث في دراساته عن المسيحية وسواء كان الباحث مسلماً أو غير مسلم ، وتلك الملاحظات الأربع هي :

١ – أن المجامع المسيحية مطلقاً سواء كانت مسكونية عامة ، أو ملية مذهبية خاصة أو اقليمية محددة ، فانهـا لم تجتمع إلا تحت ظروف

فقط ، وباقي المسائل المتعلقة بالروح القدس ، وطبيعة المسيح لما تبحث بعد ذلك لأنها بعد لما تتولد من عراك أو مشاجرة .

٢ – في المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١ م. تقرر أن الروح القدس إله في مواجهة مقالة مكدونيوس أن الروح القدس ليس بإله ، ولكنه مصنوع ومخلوق لله .

٣ – في المجمع الثالث المنعقد بأفسس عام ٤٣١ م. تقرر أن للمسيح طبيعتين : إحداهما لاهوتية ، والأخرى ناسوتية في مواجهة مقالة نسطور بأن المسيح ليس إلهاً ولكنه مبارك وملهم من الله وأنه ليس الإبن ولكنه متحد مع الإبن بالموهبة والتقديس .

٤ – في المجمع الرابع بخلقيدونية عام ٤٣١ م . تقرر أن الطبيعتين منفصلتين : إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية يلتقي بهما المسيح مع الله ، ومع الناس ، وذلك في مواجهة رأي ديسكورس بطريرك الاسكندرية القائل بالطبيعة الواحدة ، وأن اللاهوت والناسوت اجتمعا في السيد المسيح ، عند هذا اجتمعت عقيدة التثليث بقرارات تواجه وتعارض ، وتحارب ، فهل انتهى العراك عند تحديد العقيدة المسيحية بهذا الثالوث ، أو ما زال مستمراً ؟ لقد استمرت المجامع في الانعقاد ، وفي اصدار القرارات ، فهل كانت تسعى لبحث علمي نزيه قائم على أصول المسيحية الغراء الحقيقية التي جاء بها السيد المسيح ؟ أو أنها كانت تتخذ فكرة قومية وطنية ذاتية ؟

السادس ـ مجمع قسطنطينية الثالث عام ٦٨٠ م.

١ — سبب انعقاده :

في القرن السابع الميلادي ظهر رجل يسمى يوحنــا مارون ٦٦٧ م . كان، يدعي بأن المسيح له طبيعتان، ولكن له مشيئة واحدة، فانزعج لذلك القساوسة والأساقفة والحكام ، خاصة الملك يوغانا قوس ،فدعا الى مجمع قسطنطينة الثالث، عام ٦٨٠ م .

٢ — عدد المجتمعين :

واجتمع لهذا المجمع في مدينة قسطنطينية عام ٦٨٠ م (٢٨٩) أسقفاً .

٣ — القرارات :

١ — إن المسيح له طبيعتان ، وله مشيئتان .

٢ — لعن وطرد كل من يقول بالطبيعة الواحدة أو يقول بالمشيئة الواحدة[١].

السابع ـــ مجمع نيقية الثاني عام ٧٨٧ م

١ — سبب الانعقاد :

في عام ٧٥٤ م انعقد مجمع بأمر الملك قسطنطين الخامس وقرر هذا المجمع :

١ — تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة .

٢ — تحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء .

---

١ — يراجع في هذا تاريخ ابن البطريق .

٣ — **القرارات :**

١ — انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً .

٢ — كل ما يتعلق بالديانة المسيحية ينبغي أن يرفع الى الكنيسة بروما .

٣ — كل المسيحيين في العالم يخضعون لكل المراسيم والطقوس التي يقول بها رئيس كنيسة روما .

٤ — لعن وطرد البطريرك فوسيوس وحرمانه هو وأتباعه .

الثامن مرة أخرى — مجمع قسطنطينية الخامس : ٨٧٩ م

١ — **سبب انعقاده :**

استطاع البطريرك فوسيوس أن يعود الى مركزه ، فعمد الى ما كان قرره مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩ م ليبطله ، وليقرر مذهبه هو مكانه، فلذلك عقد هو مجمعاً يسمى تاريخياً : المجمع الشرقي اليوناني .

٢ — **القرارات :**

١ — رفض كل ما قرره المجمع القسطنطيني الرابع المنعقد عام ٨٦٩ م .

٢ — انبثاق الروح القدس عن الآب فقط .

وهنا يلاحظ الباحث ان الصراع الفكري والقومي في الكنيسة قد ظهر ، فلم تعد المسألة مسألة دين ولكنها مسألة سلطة وقومية .

١ — فعن المجمع الرابع المنعقد في خلقيدونية انفصلت الكنيسة المصرية بالاسكندرية انتصاراً لبطريركها وانتصاراً لشعورها الوطني الذي تراه قد أُهين بما نسب الى بطريركها ، وما حكم عليه به من الحرمان ، فتعصبت لمذهبه ورأته أنه هو الصحيح، وإن خالفه كل بطاركة العالم .

التاسع ـ انعقد في روما عام ١١٢٣ م

وأهم قراراته : ان تعيين الأساقفة من شأن البابا لا من شأن الحكام .

العاشر ـ انعقد في روما عام ١١٣٩ م

وأهم أحداثه انه فشل في التوصل الى إزالة الخلافات بين الكنيستين الشرقية اليونانية والغربية اللاتينية البطرسية البابوية ، وكان أعضاؤه (١٠٠٠) ألف أسقف .

الحادي عشر ـ انعقد في روما عام ١١٧٩ م

وأهم ما جاء في قراراته :

١ ـ انتخاب الباب بثلثي عدد الكرادلة .

٢ ـ السكوت عما شاع عن : استحالة الخبز والخمر ، في العشاء الرباني ، الى جسد ودم المسيح .

الثاني عشر ـ في روما ١٢١٥ م

وأهم ما جاء في قراراته :

١ ـ الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

٢ ـ إقرار ما شاع سابقاً من أن الخبز والخمر في العشاء الرباني يتحول الى جسد ودم السيد المسيح وجعله مبدأ دينياً .

* * *

٤ – أن هذه المعارك أخفت معالم المسيحية الى درجة ان رجالها وعلمائها ما زالوا في خلافات يعقدون لهـا المجامع لتأييد آراء جانب منهم ، وأن البعثة الاسلامية المحمدية كانت غوثاً لهم من الانتحـار الفكري والاجتماعي الذي عاشوا ويعيشون فيه .

وإذن : فلا بد عند البحث من توضيح الإجابة عن هذه الأسئلة :

١ – أليس الإنجيل بكاف في تفسير وتفصيل العقيدة المسيحية ؟

٢ – إذا لم يكن الإنجيل كافياً فأيُّ مصدر موثوق به يمكن الاعتماد عليه ؟

٣ – وهل المجامع حاولت أن تبحث قضايا العقيدة على ضوء من النصوص الدينية أو على ضوء العصبية الذاتية ، والمعضلات العقلية ؟

٤ – وهل يكفي في مسائل العقيدة الرجوع الى الفكر البشري وحـده ؟ وإذن فما هو الفرق بين الفلسفة والديانة المسيحية إذا كان الكل مرجعه الفكر والعقل ؟

٥ – وهل الإنقسام الحاضر أو الماضي في الأسرة المسيحية أساسه نصوص من الدين أو أساسه النظر في أسس الدين ؟ أو اساسه التناظر لإثبات الرأي الشخصي ؟ وكيف نفسر انفصال كنيسة الاسكندرية بعـد مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م ، وكنيسة القسطنطينية بعد عام ٨٦٩ م ، وانقسام الكاثوليكية بعد عام ١٨٦٩ م عقب المجمع العشرين؟ ألم يكن الانقسام بسبب التنـاظر في آراء الذات لا بسبب النظر في أسس الدين ولا بسبب نصوص الدين نفسه ؟ ذلك ما ينبغي ان يبحث ويجاب عنه لشيء واحد حتى نقدم للمسيحية نوراً ؟

المقالة الخامسة

الفرق المسيحيّة :

أولاً : مرحلة التوحيد ، في ظلال التفكير الذاتي للكنيسة .

ثانياً : مرحلة شبه التوحيـــد ، وبدء القول بالتثليث تحت سلطان الدولة .

ثالثاً : مرحلة العودة الى الاستقلال الذاتي بعيداً عن الدولة.

رابعاً: الاصلاح الديني :

أ ـــ من رجال الكنيسة .

ب ـــ من غير رجالهـــا .

الفرق المسيحية : قديماً ـ وحديثاً

منهجنا هنا في توضيح بيان الفرق المسيحية سوف تكون له ذاتية خاصة نابعة من العرض السالف للمجامع ، وأحداثها ، ذلك أن الفرق لم تنشأ إلا من الحمل الذي ناءت به مجامع المسيحية منذ القرن الرابع الى اليوم ، ومنهجنا هذا نعرضه كما يلي :

١ ــ مرحلة التوحيد ، في ظل الاستقلال للفكر الديني المسيحي من سيطرة الدولة وتنتهي تقريباً بانعقاد مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥ م .

٢ ــ مرحلة التطور للقول بالأقانيم في العقيدة ، تحت سلطان الادارة الحكومية للدولة الرومانية ، وتبدأ من عهد قسطنطين بانعقاد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، وتنتهي تقريباً بالمجمع السابع الذي عقده الملك قسطنطين الخامس عام ٧٨٧ م.

٣ ــ مرحلة التعبير عن الذات للكنائس المنفصلة شرقاً وغرباً ، في ظل الاستقلال عن إدارة وسلطان الدولة ، وتبدأ بإنعقاد المجمع الثامن ذوي الشطرين :

(١) المجمع الثامن الغربي اللاتيني المنعقد في عام ٨٦٩ م .

(٢) المجمع الثامن الشرقي اليوناني المنعقد في عام ٨٧٩ م. واللذين تولد منهما الانقسام الأبدي للكنيسة الى : كنيسة شرقية ، وأخرى غربية .

ملاحظات :

١ ــ يعتبر المجمع التاسع المنعقد في روما عام ١١٢٣ م القدمين الأولين اللذين تحركت بهما الذات المسيحية للتعبير عن كيانها مستقلاً عن سلطان الدولة ، وذلك حين قرر المجمع أن تعيين الأساقفة إنما يكون بسلطة البابا لا بسلطة الحكومة .

ثانياً — المؤلهون :

١ — مرقيون ، وأتباعه ، كان يقول : أن الآلهة ثلاثة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما [١] .

٢ — البربرانية . فرقة كانت تعتقد أن المسيـح وأمه إلهان من دون الله[٢].

المرحلة الثانية

تطور القول بالأقانيم ، تحت سلطان الدولة .

أولاً . حول فكرة التوحيد مع المزج بالتثليث .

١ — مقدونيوس . أنكر أن يكون روح القدس إلهاً ، وقال إنه مصنوع لله مخلوق له [٣] .

٢ — النسطوريون . أصحاب نسطور بطريرك القسطنطينيـة الذي عارض القول بأن مريم ولدت الله ، وقال ان مريم لم تلد إلا الإنسان ، فهي أم الإنسان وليست أماً لله[٤] ...

٣ — اليعقوبيون . نسبة الى يعقوب البراذعي ، الذي انتحل مذهب بطريرك الاسكندرية القائل بأن للمسيح طبيعة واحـدة وهي التقاء اللاهوت والناسوت في المسيـح ، وهي الفكرة التي رفضهـا مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ ، وتسبب عنهـا تمسك الكنيسة المصرية برأي بطريركها ، والانفصال عن الكنيسة الرومانية [٥] .

٤ — المارونية . أتباع يوحنا مارون . الذي قال بالمشيئة الواحدة لله مع القول

---

١ — راجع من هذه الرسالة ص ٩٨ .

٢ — راجع الصفحة رقم ٩٧ من هذه الرسالة .

٣ — راجع من هذه الرسالة ص١٠٠ ، وكتاب تاريخ الكنيسة ترجمة يوسف البستاني .

٤ — راجع من هذه الرسالة ص ٦٠ - ١٠٢

٥ — راجع من هذه الرسالة ص ١٠٧ .

العامل الثاني — تنازع السلطة :

فإلى أي كنيسة يخضع العالم المسيحي ؟ اما الكنيسة الغربية البطرسية فقد قررت أن جميع المسيحيين يجب أن يخضعوا لقراراتها وسلطانها . وأما الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية فقد قررت أن لا سلطة للبابا ولا تعترف بسيادته ولا برئاسته ،كما انها لا تعترف إلا بالمجامع السبعة قبل الإنفصال، ولا تلتزم بقرارات مجمع آخر بعد هذا [١] .

ملاحظة تاريخية هامة :

استمر النزاع بين الكنيستين مع وجود الجهود التي بذلت لتحاول التوفيق بينهما ، ولكن كلما زادت جهود التوفيق زادت كثرة الخلافات ، حتى توجت بالتسلط العسكري في الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة الغربية اللاتينية البطرسية على بلاد الشرق الإسلامي ، فاستخدم البابا « أنوسنت الثالث » سلطانه وحث زعماء الحرب الصليبية على انتزاع المملكة الشرقية من بلاد اليونان ، وهنا أترك القول لكتاب مسيحيين متعصبين ليشرحوا كيف عامل المسيحيون الغربيون بني دينهم من المسيحيين الشرقيين :

يقول الأستاذ نوفل بن نعمة الله بن جرجس في كتابه « سوسنة سليمان » : « حرّك البابا « أنوسنت الثالث » قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونان فاقتحموا القسطنطينية سنة ١٢٠٤ ، وظلوا متسلطين الى عليها الى سنة ١٢٦١ م فاستعملوا ما أمكنهم من (الهمجية) في الأرض التي امتلكوها من بلاد سورية وفلسطين ليخضعوا بطاركة أورشليم ، وجميع الاكليروس اليوناني بواسطة الحبس ، وإقفال الكنائس حتى أحوجوهم الى أن يفضلوا موادّة العرب حكام البلاد الأصليين على موادتهم ويختاروا حكم شعب يتقاضى منهم جزية على ان يتسلط عليهم ملك روحي طمعه وطمع قواده لا يشبعان ».

١ — راجع من هذه الرسالة ص ـ ١١٤ .

حركة الاصلاح الديني

حالة المسيحية في الغرب لم تقنع العقل الإنساني بصدق تعاليمهـــا ، فشعر الشباب الواعي ببعد تعاليم الكنيسة عن طبيعته الانسانيـــة ، فقامت عدة إصلاحات تريد أن تعدل تعاليم الكنيسة لتكون الغذاء الشهي للعقل والروح .

واتخذت حركة الاصلاح هذه موجتين :

١ – موجة من رجال الكنيسة نفسها .

٢ – وموجة من خارج رجال الكنيسة .

ولكي نقدم للباحث مادة يتعرف بها على ضرورة حالة الاصلاح التي ألحّ بها الشباب في الغرب يجدر بنا أن نمهد لذلك بحديث قصير عن حـالة الكنيسة في ذلك الحين .

والحديث عن حالة الكنيسة يستلزم ملء هذه النقاط ولو بسرعة :

١ – علاقة الكنيسة بالمجتمع ، وتشمل :

أ – علاقتها بالرعية والعلماء .

ب – علاقتها بالحكام والملوك .

٢ – سلوك الكنيسة ذاتها ، ويشمل :

أ – الإتاوات .

ب – التحكم في تفسير الإنجيل .

ج – مسألة العشاء الرباني .

ثالثاً – سلوك الكنيسة ذاتها :

أ – فرضت الكنيسة إتاوات على كل فرد مسيحي طيب السلوك أو سيء السلوك ، وقد استخدموا أساليب غير مهذبة في جمع هذا المال ، وانه ليقال أن روما عاصمة البابا كان فيها (١٦٠٠٠) ستة عشر ألفاً من النساء العاهرات اللاتي يستخدمن أعراضهن في الحصول على المعيشة قد اعتبرتهن الكنيسة مورداً مالياً لخزانة الدولة وفرضت عليهن إتاوات ، وضرائب !!

ب – استحوذت الكنيسة على أحقية تفسير الأناجيل ، وإصدار الفتاوى ، ومنعت العقل وحجرت عليه من التفكير ، بل طالبت بإلغائه إن عنّت له قضية لم يفهمها ،ودعت العوام والمثقفين إلى ترويض عقولهم بأن يقبلوا كل شيء غير معقول ، وفي هذا يورّي المسيو إيتين دينيه الفرنساوي فيقول : « وما كان أصدق سان اغسطين ، وهو أخبث رجال الكنيسة ، عندما يريد أن يقطع أي مناقشة في عقيدته ، ما كان أصدقه وهو يصيح : « انني مؤمن لأن ذلك لا يتفق والعقل [1] » .

ج – يقولون في تعاليمهم : ان العشاء الرباني الذي يتكوّن من خمـر وخبز يستحيل الى جسد ودم السيد المسيح – نعم هناك خلاف طويل بين الكنائس ولكننا نصور الكنيسة الغربية – فمن أكل من الخبزوشرب من الخمر فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه ، وتلك مسألة لم تجد لها زاوية في عقول الشباب الغربي فثار عليها .

د – سلوك رجال الكنيسة :

صكوك الغفران :

قرر المجمع الثاني عشر الماضي : أن المسيح قلد كنيسة رومـا حق منح

١ – أشعة خاصة بنور الاسلام ص ٥٥ .

كله يصيحون : باسم الرب [1] .

ذلك جانب نقدمه بسرعة لنكشف للباحث مقدمات هامة يجب أن تستقصى عند الحديث عن الاصلاح الديني للمسيحية .

الجولة الاولى من الاصلاح : صوت قسيس

من الطبيعي أن يرفض البطن أي طعام لا يستسيغه ؟ كذلك العقل – إن كان سليماً – فانه يرفض الأفكار التي لا يستسيغها ، والكنيسة لم تعش في عزلة عن نور الحق ، فإنها بالحروب الصليبية قد فتحت للعقل المسيحي آفاقاً شهد فيها نور الحقيقة من الإسلام ، فانجذبت الأرواح التي جندها ربها لحب الحق إلى أنواره ، فاصطلت الكنيسة بالنار التي خلفتها آثار حربها الصليبية ، فقد اندلعت ثورات داخلية على حق الكنيسة في الغفران ، وما يسمى سر الاعتراف ، وابتدأت فئات الشعب العامة تحصي على رجال الكنيسة أخطاءهم ، وتتحسس بمشاعرها فساد تعاليمهم فيشعرون بأن الله قريب منهم ، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه .

وإذن : فليس بلازم أن يكون هناك وسيط أو صك للغفران يمنحه أسقف هو أكثر ذنباً من العامة ، فكانت الثورة الدينية التي نادى بها يوحنا هوس ، وتلميذه جيروم ، وملخصها : أن الكنيسة ليس لها سلطان في محو الذنوب ، وأن التوبة مع رحمة الله فقط هي الطريق الطبيعي لمحو الآثام وتطهير النفوس من الخطايا والأدران ، وأن ما يسمى بسر الاعتراف خرافة .. الخ .

ولكن الكنيسة رأت أن ذلك هدم لكيانها وجبروتها ، فانعقد لذلك « مجمع كونستانس » مدة أربعة أعوام (١٤١٤ – ١٤١٨) للنظر في ثورة يوحنا

---

١ – أشعة خاصة بنور الاسلام ص ٢٣ .

من مصادرها الأولى ، وقد كان أرزم صديقاً للبابا « ليو » العاشر ، وكان البابا يقدر آراءه، ويعجب بعبقريته ، ومنطق تفكيره، ويوافق على وجهات نظره . ولهذا كان أرزم شديد المحافظة على مركز البابا وقداسته ، فتجنب الخلط بين الاصلاح ومركز البابا وقداسته، وحرمة رجال الكنيسة ، ونادى بأن الاصلاح ينبغي أن يقوم به رجال من الكنيسة نفسها ، ولكن احترام البابا لهـذه الآراء قد ألغاه صوت لوثر المعاصر لأرزم فما أن سمع البابا بإصلاحات لوثر حتى رفض مقالات أرزم .

٢ – تومس مور : ١٤٧٨ – ١٥٣٥ م .

ظهر بإنجلترا واتخذ منهج الهدوء في إصلاح الكنيسة فأعلن أن سيادة البابا واجبة ، وأن سلطانه الديني يجب أن يكون شاملاً للجميع .

٣ – لوثر :

ملخص حياته :

١ – ولد عام ١٤٨٢ م من أسرة فقيرة ، ومع ذلك فقد أجهد والده نفسه ليواصل لوثر دراساته العليا في القانون فأرسله الى الجامعة .

٢ – كانت ميول لوثر دينية أكثر منها قانونية فعكف على دراسة اللاهوت.

٣ – كانت له مشاعر دينية مرهفة جعلته محل عناية من الكنيسة فأوصوا به خيراً فعين مدرساً للفلسفة .

٤ – ظل يعكف على دراسة الفلسفة حتى شك في صلاحيتها ، وكان يرى ان أرسطو واحد من عبدة الأوثان .

٥ – دفعته عواطفه الدينية الى أن يحج الى روما لتحل عليه بركات من البابا وما أن وطئت قدماه أرض روما حتى اصطدمت مشاعره وآماله بخيبة كبرى ، فقد كان قبل ذلك يحلم بأنه سوف يقابل خشوعاً وورعـــاً

بالبروتستانت أشد العذاب والنكير .

وهنا أسأل كذلك : متى كان هنالك تسامح ديني بين المسيحيين أنفسهم سواء كانوا حكاماً أو أساقفة ، أو بطاركة ، أو شعباً ؟!

١٠ – مبادىء لوثر التي كان يدعو اليها :

١ – البابا ما هو إلا كبير المرشدين ، وليس خليفة للسيد المسيح .

٢ – عزل رجل الدين إذا لم يؤد واجباته كاملة .

٣ – من أجل إصلاح نفسية رجل الدين يرى لوثر زواج الأساقفة ورجال الدين .

٤ – لكل مسيحي الحق في فهم الكتاب المقدس من غير رجوع إلى رجل الكنيسة .

٥ – العشاء الرباني رمز تذكاري لما قام به المسيح من فداء للخليقة ، أما ما يقال من استحالة جسمه ودمه في جسم آكل الخبز وشارب الخمر فهو أضحوكة !

٤ – زونجلي :

ملخص حياته :

١ – مولده : سويسري الأصل ولد عام ١٤٨٤ م.

٢ – ابتدأ ثورته على الكنيسة بسبب صكوك الغفران ، مثلما ابتدأها لوثر في المانيا .

٣ – كان يقول : العشاء الربانيمناولة تذكارية لموت المسيح وفدائه للخطيئة البشرية .

٤ – مات عام ١٥٣١ م. في أثناء صراع بين أنصاره وأنصار الكاثوليكية ؟

من آثار هذا الاصلاح

١ – إنشاء كنائس منفصلة عن سلطان البابا في روما ، وتسمى في الاصطلاح البروتستنتي : « الكنيسة الإنجيلية » لأنها تأخذ تعاليمها من الكتاب المقدس عندهم (الإنجيل) .

٢ – ليس لرئيس هذه الكنيسة قداسة تجعل كلامه مقدساً مثل آيات الكتاب المقدس .

٣ – سلطان الكنيسة في الوعظ والإرشاد والهداية فقط .

٤ – منع الصلاة للموتى وشفاعة القديسين ، فإن غافر الذنوب هو الله فقط .

٥ – لا يجوز استعمال لغة غير مفهومة في الصلاة .

٦ – لا رهبنة ، لأنها تعين على المعصية ، وتفسد رجل الدين .

٧ – لا يجوز استعمال الصور في الكنائس ، ولا يجوز الصلاة لها .

ملاحظة هامة جداً :

في الاصلاحات التي قررتها الكنيسة الانجيلية البروتستنتية جانب من آراء علماء المسيحية الذين طردتهم المجامع وحرمتهم ونفتهم ، وإذن : فمن أجل الاصلاح كان لا بد للكنيسة الإنجيلية البروتستنتية من :

١ – أن تراجع جميع قرارات المجامع السابقة وتقرر رأيها فيها وفي قرارات الحرمان والطرد .

٢ – أن تبحث عن العلل والأسباب التي جعلت علماء المسيحية منذ غياب السيد المسيح يخترعون طرق العبادة وينشئون أسس العقيدة بغير رجوع إلى نصوص الكتاب المقدس .

الجامع الكبير بمدينة الجزائر عام ١٩٢٧ م ،وذكر أنه دخل في الاسلام بعد بحث ودراسة ، لا من أجل مغنم أو مطمع .

ذلك هو البحث الصحيح ، والدراسة السليمة ، وعلى كلٍّ فما كنا نطمع من لوثر ، ولا من كلفن ، أن يكونوا مثل المسيو إيتين دينيه ، ولكن كنا نطمع — من ناحية عظيمة بحتة — أن يكونوا مثل الدكتور نظمي لوقا المسيحي ، أو مثل تولستوي ، أو رينان ، مثل أولئكم الذين بحثوا عن الحقيقة فوجدوها وإن لم يدخلوا فيها ، لذلك فأنا أسمي إصلاح لوثر وأصحابه بالاصلاح المبتور ، لأنه لم يصل الى نهايته العلمية كما كان يجب أن يكون ذلك، من أجل العلم والحق فقط ، والهادي وحده هو الله رب العالمين .

المقالة السادسة

رأينا الشخصي في المراد بأهل الكتاب

المقالة السادسة

من المراد بأهل الكتاب؟

أولا : في القرآن الكريم آيات كثيرة تنادي أهل الكتاب، منها قوله تعالى :

١ — (يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم — المائدة ٦٨) .

وقوله تعالى :

٢ — (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين — المائدة ١٥) .

وقوله تعالى :

٣ — (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير — المائدة ١٩) .

وقوله تعالى :

٤ — (يا أهل الكتاب لم تحاجُّون في إبراهيم ، وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون — آل عمران ٦٥) .

وقوله تعالى :

٥ — (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون — آل عمران ٧٠)

٦ — (يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون — آل عمران ٧١) .

٧ — (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما

٢ ـ والحكم عليهم بأنهم : مشركون ، كافرون ، خاسرون .
وعليه : فمن هم أهل الكتاب المرادون في الإصطلاح القرآني ؟
ومسألة أخرى هي :
إننا إذا أردنا تطبيق علم مقارنة الأديان على المسيحية والإسلام ، فما هي المسيحية التي سنقارنها بالإسلام ؟
أما الأمر البديهي في هذه المسألة فهي المسيحية التي ظهرت في الشرق ، في أورشليم وانطاكية ، لا في روما وقسطنطينية ، وحول هذا يقول الاستاذ الجليل المرحوم عباس محمود العقاد : « ومن البديهي أن الباحث الذي يريد تطبيق علم المقارنة بين الأديان على المسيحية والإسلام مطالبٌ بالرجوع الى حالة الديانة المسيحية حيث ظهرت دعوة الاسلام في الجزيرة العربية ، فلا يجوز لأحد من هؤلاء الباحثين ان يزعم أن الاسلام نسخة محرّفة من المسيحية . . . » ويقول كذلك : « ومهما يكن من تطور العقائد المسيحية في سائر البيئات ومختلف العصور ، فالعقيدة المسيحية التي يجوز لصاحب المقارنة بين الأديان ان يجعلها قدوة للاسلام إنما هي عقيدة المسيحيين في الجزيرة العربية وما حولها [1] . . » .
وإذن فمعنا الآن ثلاث قضايا :
١ ـ ان القرآن استعمل اصطلاح أهل الكتاب للجماعات التي لها نبي خاص .
٢ ـ ان المعاندين من أهل الكتاب أوقع القرآن عليهم عدة أحكام ، منها انهم مشركون ، وكافرون ، وخاسرون .
٣ ـ ان الامر البديهي في تطبيق علم المقارنة بين الأديان للباحث ان يتخذ من عقيدة المسيحيين في الشرق العربي أساس هذه المقارنة ، ويلاحظ فيها انها العقيدة التي صاحبت ظهور الإسلام .
ومسألة أخرى أيضاً وهي : ان المسيحية ليست ديناً مستقلاً بذاته ، بل

---

١ ـ راجع ص ٤٩ ـ ٥٠ حقائق الاسلام .

ودين الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيدا ـ الفتح ٢٨) ، (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ـ الفرقـــان ١) ، (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهـم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحلّ لهم الطيبات ، ويحرّم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا بـه وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معهأولئك هم المفلحون، قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون ـ الأعراف ١٥٧ ـ ١٥٨) .

فبهذا أصبح الناس جميعاً مطالبين بالدخول في دين الله ـ الإسلام :

« والناس » كلمة تشمل الذين كانت لهم رسل سابقة ومعهم كتب سابقة (وهم أهل الكتاب) .

والوثنيين الذين ليس لهم دين صحيح .

والفلاسفة الذين لما يصلوا بعد الى حقيقة الألوهية .

والشعب العام الذي ليس له فهـم مستقل في مسائل العقيدة والشريعة .

وتشمل الناس : جميعاً من كل لون ولغة وجنس وقطر، لا بد لهم ان يدخلوا في هذا الدين لأنه دين الله الحق .

وقد صاحبت بداية الاسلام انعقاد عديد من مجامع المسيحية التي ما زالت تبحث عن توضيح وتفسير لمعنى العقيدة التائهة بين شغب المناقشات ، بل كلما زادت المجامع كلما زاد الملعونون ، والمطرودون ، والمحرومون ، وزادت الكراهية والفتن ، والعقيدة كما هي ما زالت غامضة باهتة مبهمة .

وإذن : فمن هم « أهل الكتاب » المرادون بالاصطلاح القرآني ؟

إنهم في فهمي بعد الشرح السالف: الجماعات السابقة للبعث المحمدي الإسلامي الذين كان لهم رسل و كتب خاصة .

ومعنى هذا :

١ ـ ان الرجل المسيحي قبل الاسلام هو الرجل الذي طالبه عيسى بالدخول

المقالة السابعة

عرض لآيات من القرآن الكريم التي تحدد موقف الإسلام من أهل الكتاب

المقالة السابعة

موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب ؟

أ – الاعتراف بالمسيحية :

١ – الاعتراف بفضل من أسلم من أهل الكتاب :

يقول الله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، انه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين . القصص ٥٢ – ٥٥ » .

« ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا ألاّ نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يُدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين . المائدة ٨٢– ٨٤ » .

٢ – تأنيب المعاندين : يقول الله تعالى : « قال أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . الأحقاف ١٠ » .

ج - عيسى وموقفه من المسيحيين :

يقول الله تعالى : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ـ المائدة ١١٦ ـ ١١٧ » .

د ـ القرآن يدافع عن مريم :

يقول الله تعالى : « فتقبّلها ربُّها بقبولٍ حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلمّا دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال : يا مريم أنّى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ـ آل عمران ٣٧ » .

« وإذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . آل عمران ٤٢ ـ ٤٣ » .

هـ ـ الغاء الشرائع السالفة كلها :

يقول الله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كله ، ولو كره المشركون ـ التوبة ٣٢ » . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً ـ الفتح ٢٨ » ، « وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبـع أهواءهم عما جاءك من الحق ـ المائدة ٤٨ . »

و ـ رسالة عيسى مؤقتة خاصة لبني اسرائيل :

يقول الله تعالى : « ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم .

(٢) ولا يخرجوننا من ديارنا . فإن نكثوا ، وتجرؤوا على الدعوة الاسلامية ، فكيف الحكم ؟ يقول الله تعالى في ذلك : (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون — الممتحنة ٩) .

٣ — العلاقات السياسية : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين — آل عمران ١٠٠) ، (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير — آل عمران ٢٨) ، (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون — المجادلة ٢٨) ، (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين — المائدة ٥٧) ، (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير — الانفال ٧٤) .

٤ — العلاقات العسكرية : يقول الله تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين — البقرة ١٩٠) ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون — التوبة ٢٩) .

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله

العظمى (نساكم) حتى ننفض عن عقلية الشباب المسلم ذلك الغبار الذي تراكم من صدأ الأحكام الجزافية التي أطلق لها العنان من لا يخافون في السياسة والحكم لومة لائم !

وأختم هذا البحث بما يرويه أبو هريرة عن سيدنا رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية[1] ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها [2] .

« وعن جابر ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ :« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة ،فينزل عيسى بن مريم ، فيقول أميرهم : تعال صل بنا ؟ فيقول :لا : إن بعضكم على بعض أُمراء تكرمة الله تعالى لهذه الأمة [3] » . « عن أبي هريرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء اخوة لعَلاّت [4] ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد [5] » « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة [6] » .

« أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل علي غضبك او تحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

---

١ ــ يسقط الجزية فلا يقبلها من أحد لأن الذميين ــ حينئذ ــ يخيرون فقط بين الاسلام او القتل .

٢ ــ رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود .

٣ ــ رواه مسلم .

٤ ــ الوالدة متعددة والأب واحد .

٥ ــ رواه البخاري .

٦ ــ رواه أحمد بن حنبل ، وابن حبان ، والحاكم .

خاتمة

خاطرات :

١ ــ حول منهج الحيدة العلمية في البحث .

٢ ــ حول مادة علم المقارنة بين الأديان .

٣ ــ حول أغنية التسامح الديني .

٤ ــ حول الحد الفاصل للعلاقات بين المسلمين ، وأهل الكتاب وغيرهم .

حول منهج الحيدة في البحث

خطر لي بعد الانتهاء من هذه الرسالة موقف صديق عزيز كريم ، كان يستعد لكتابة بحث لنيل شهادة العالمية من درجة استاذ من الأزهر الشريف ، وهي التي يسميها العرف الجامعي العام شهـــادة الدكتوراه ، خطر لي موقف ذلك الاستاذ وهو متحير جداً لأن رسالته حول الديانة اليهودية على ما أذكره الآن .

وكان سبب الحيرة أن الجامعات العلمانية اليوم تؤمن بما يقال لهالحيدة العلمية في البحث ،ومفهوم هذه الحيدةهو التخلي عن المبادىء الشخصية عند عملية القيام بالبحث العلمي ، ومنها الدين : فالحيدة في البحث العلمي ،– تفرض على الباحث كما يقول أساتذة الجامعات العلمانية –تستلزم التفرغ من الفكرة الخاصة ، ومنها دين العالم الباحث .

وكان صديقي – ولا أزكيه على الله – شاباً متديناً : في قلبه ، وعقله ، ووجدانه ، وذكائه ، وكل شيء فيه ، كان الدين شيئاً مسيطراً على أخلاقه وسلوكه وحياته الشخصية والعامة ، فكيف يتفرغ عن اسلامه ، وهو ناضج فيه كل النضوج ، ولم يكن هناك من حيلة إلا أن هذا الأخ الكريم غيَّر رسالته بعد أن سار فيها شوطاً ، ونقلها من دراسة اليهودية ، إلى دراسة حيـــاة الحكيم الترمذي المتصوف الإسلامي القديم .

وبعد أن عرضت كلام علماء المسيحية ، ومؤرخيها حول النقاط الرئيسية التي قدمتها هنا لتكون ركائز للبحث مستقبلا ، ورأيت الحـدود البعيدة التي أخرجت المسيحية من جوها الإلهي الرباني إلى جو عصبي ذاتي ، قومي ، إقليمي ، ورأيت كيف أن الأناجيل– وهي كذلك مؤلفة– قد داسها القوم ، وأهدروها

تلك خاطرة عرضها على فكري دراسات هذه الرسالة التي أعطتنا فكرة سريعة هي أن حرية البحث قد وأدتها المجامع المسيحية ، وشرف العلم قد ضيّعه بطاركة الكنائس ، لا سيا بعد ان جعلت روما من البابا خليفة عن السيد المسيح يغفر الذنوب ، ويهب الملك فيغفر لمن يشاء ويعز من يشاء ، فخطر لي موقف أخي المسلم الحريص على أمانة العلم وتلصص جولد تسيهر الذي يدّعي الحيدة ليسرق ويخذل كما فعل اجداده من قبل ؟

فهل لمثل هؤلاء ثقة تاريخية حتى يكونوا أئمة شبابنا في وضع قيم البحث العلمي ؟ !

حول مقارنة الاديان

كذلك تغنّى القوم في الغرب والشرق عن مادة علمية يسمونها : « مقارنة الأديان » ، وجاء في نفسي بعد عرض مادة هذه الرسالة ، أنه ليس هناك مايسمى بالأديان في نظر القرآن ، ولتقرأ معي قول الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليهم أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ـ الأنبياء ٢٥ » «واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون ـ الزخرف ٤٥ » «إن الدين عند الله الاسلام، وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ـ آل عمران ١١٩ » « وما تفرّق الذين أُوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ـ سورة البينة ٤ ـ ٥ » .

« أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أُنزل علينا ، وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ، ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ،

للتفتيش ، لتبحث عن الذين لهم أفكار مضادة للكنيسة لتحرقهم أو تحرمهم أو تطردهم ، وفي الحروب الصليبية بيان للعداوة بين الكنيسة الغربية المتسلطة عسكرياً على الشرق ، والكنيسة الشرقية التي ترزح تحت نير عنجهية الصليب الغربي .

والبروتستانت ، أصلتهم الكنيسة البطرسية البابوية ناراً ، وقتل أحد زعمائها في المعارك التي دارت بينهم وبين أنصار الكاثوليكية .

وحرم البابا بولس كوسا زواج الكاثوليكية من الارثوذكسي او البروتستنتي.

ولم يحمل التاريخ شيئاً ما من معنى التسامح الديني بين الاسرة المسيحية ذوات المذاهب المتعددة التي صنعتها « فبارك » المجامع ، واليوم نسمع أغنية جديدة من الأقلية في إندونيسيا تسمّى التسامح الديني ، ويرددها المسلمون لأن الشؤون السياسية تجبرهم على ذلك !

والذي خطر ببالي بعد هذه الرسالة عدة صور :

١ ـ هل الكنائس التي تبنى بغير رصيد لها من البشر المسيحي ، تسمى تطبيقاً لما يغنى به من نشيد التسامح الديني ؟

٢ ـ وهل الفتيات المسيحيات اللاتي يغرين الشباب المسلم وتصل الأمور الى ما هو معروف هنا ، هل تسمى هذه الحالات تسامحاً دينياً ؟

٣ ـ وتلك الفتاة المسلمة التي تعلن انها تحب شاباً مسيحياً وتريد الزواج منه، وإلا فإنها ستضرب عن الطعام والشراب، هل هذه واحدة من التسامح الديني ؟

٤ ـ والأرز ، واللبن ، والتقاوى ، والقروض التي تقدم للتجار والفلاحين في القرى ـ لا سيا في حالات القحط والأزمات الاقتصادية، هل هذه ألوان من التسامح الديني ؟

وإذن : فعلماء المسلمين ، كما يسمون هنا ، يعلنون :

١ ـ انهم يقبلون العمل مع المسيحية بفلسفة التسامح الديني الذي يسرق معالم الحق ، ومعاني الفضيلة ويعتدى على الأخلاق والكرامة الانسانية والاسلامية !!

٢ ـ انهم استعدوا للوقوف مكتوفي الأيدي في سبيل أن تنشر المسيحية تسامحها الديني بالأرز والمستشفى ، والكتاب ، والمدرسة ، والفتاة !!

٣ ـ انهم تجرؤوا على تفسير القرآن الكريم لمصلحة التسامح الديني المنفذ من جانب أصحاب العزة والسلطان المسيحيين !

٤ ـ انهم عدوا إخوانهم المسلمين أعداء لهم لأنهم لا يوافقون على فكرة (نساكم) او التسامح الديني بالمعنى الذي فهموه هم !

والسؤال الآن ؟

لماذا أنتم أيها العلماء المجوزون للتسامح الديني لا تنشرون اسلامكم ، الذي قبله المسيحيون منكم ، بين الأسر المسيحية كما نشر المسيحيون دينهم بين أبنائكم وبناتكم ؟

أو على الأقل: لماذا تتنحوْن وتتركوا المجال للعلماء الراسخين في العلم ليدعوا الى الله على بصيرة ويبينوا الحق من الباطل ؟

تلك خاطرة تمر بكثير من الذكريات المرة حول سلوك جانب من علماء المسلمين الذين يحبون العمل مع الشيطان ، ولا يحبون العمل مع الدكتور همكا مثلاً أو مع الشيخ متولي شلبي !!

حول الحد الفاصل للعلاقات بين المسلمين وغيرهم

غير أصحاب الأديان السماوية :

وهم المجوس والوثنيون وغيرهم من أشباههم . وقد عرضنا في المقالة السابعة

ثانياً : موقفنا من أهل الكتاب :

أما الذين لهم دين سماوي وهم « أهل الـكتاب » فإن عاشوا في سلام وود مع الدولة الاسلامية ، لا يمنعون الدعوة من تيارها الإنساني الذي يهدي النـاس الى طريق الله فلم يعوقوها ، ولم يعرقلوا خطاها اقتصادياً ، أو فكريا بالكتاب والمجلة ، والفيلم ، والجريدة ، والمدرسة، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ونتركهم في صوامعهم آمنين يعبدون الله على ما هم عليه .

أما إن تحرشوا بالإســلام فاعتدوا بالسلاح ، او بالمستشفى ، والمدرسة ، والمجلة ، والأرز ، وقرروا تنصير المسلمين بآلات الخداع ، وتحت ستار السياسة والخبث الإعلامي ، ففيهم يكون السيف واجباً مقدساً على كل مسلم ، وحـول هذا تكون تفسيرات الآيتين ٨ ـ ٩ من سورة الممتحنة .

إذن : الحد الفاصل في العلاقــات هو ترك الدعوة الإسلامية تأخذ طريقها بإقامة الدليل وإقامة الحجة لتهدي الناس الى طريق الله المستقيم .

أما البوذية، والمجوسية والاديان الصناعية للبشر، فليس لها قيمة مطلقاً في نظر الاسلام ، فلا علاقــة البتة بيننا وبينهم ، وقد جـاء أبو سفيان وهو مشرك الى المدينة المنورة، ودخل على أم حبيبة وهي ابنته، وهي كذلك زوجة النبي ﷺ فأراد أن يجلس على حصير رسول الله ﷺ فطوته ، وقالت له: إنك نجس لأنك مشرك ، وهو أبوها وقد جاء من سفر بعيد في جـو حار ورمال ورياح وشمس وسغب .

الشيوعية بألوانها أشد حقارة في نظر الإســلام من هذه الوثنية ، لأن الشيوعية انحراف بالفطرة الإنسانية عن مزاجها الطبيعي ، وفي إعلانها العداوة

---

١ – راجع ص ٣٥ – ٧١ ج ٢٨ تفسير في ظلال القرآن ، وكذلك راجع ص ٨١ – ٢٧٠ ج ١٠ و ص ٥ – ٤٦ ج ١١ من تفسير في ظلال القرآن .

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم .
٢ – في ظلال القرآن (تفسير القرآن الكريم) : للمرحوم الشهيد سيد قطب .
٣ – السنة ، ومكانتها في التشريع الاسلامي : الدكتور مصطفى السباعي .
٤ – إظهار الحق : رحمة الله الهندي .
٥ – أشعة خاصة بنور الاسلام : (ناصر الدين) إيتين دينيه .
٦ – حياة محمد : الاستاذ محمد حسين هيكل .
٧ – حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : الاستاذ عباس محمود العقاد .
٨ – الفلسفة القرآنية : الاستاذ عباس محمود العقاد .
٩ – محاضرات في النصرانية : لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة .
١٠ – الجانب الإلهي : الدكتور محمد البهي .
١١ – تاريخ الفلسفة : ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود وآخر .
١٢ – التفكير الفلسفي في الاسلام : الدكتور عبد الحليم محمود .
١٣ – الملل والنحل : الشهرستاني .
١٤ – الفلسفة اليونانية : يوسف كرم .
١٥ – محمد الرسالة والرسول : الدكتور نظمي لوقا .
١٦ – المدخل لدراسة الفلسفة : جوتيه .
١٧ – من تحفة الجبل : يوسف الخوري .
١٨ – سوسنة سليمان : نوفل نعمة الله جرجس .
١٩ – مرشد الطالبين

فهرست